

كلمات ونفحات داعية

الجزء الثالث

الكاتب الإسلامي المصري

سيد مبارك



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات ونفحات داعية

الجزء الثالث

الكاتب الإسلامي المصري
سيد مبارك

فهرس مقالات الجزء الثالث

****

مقدمة الكاتب

إن الحمد لله، نَحْمده ونستعينه، ونستغفره ، ونعوذ باللّه من شُرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، مَن يهده اللّه فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ اللّه، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربِّي وسلامُه عليه، وعلى آله وصَحْبه أجمعين.

أما بعد..

هذا هو الجزء الثالث ولله الحمد والمنة يضم مجموعة من المقالات المتنوعة المنشورة لي علي الانترنت علي موقع الألوكة وغيره جمعتها في كتاب واحد مع الاستمرار في جمعها في أجزاء أخري كلما تيسر لنفيد ونستفيد .

فمن شاء نشرها كمقالات فبها ونعمت ومن شاء نشرها ككتاب تحت العنوان المختار "كلمات ونفخات داعية "فليفعل كل ما نريده إعطاء الفضل لأهله فتنشر بأسمى لحفظ حقوقي الفكرية ومن نشرها فهو في حل مني عن أي حقوق مادية فهي حق لكل مسلم سواء للدعوة أو التجارة والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

وكتبه/ سيد مبارك

كاتب وداعية إسلامي مصري

١

وسطية الإسلام بين التيسير والتحريم

إنَّ الحمد لله نحمدُه، وتَستعينه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شُرور أنفُسنا، وسيّئات أعمالنا، مَن يهدِه الله فهو المهتدي، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله:

أمَّا بعد:

فمِن سماحة الشريعة الإسلامية ووسطيَّتِها إباحةُ المُحرَّمات عند الضرورة.

والضرورة في اللغة - كما قال ابن منظور -: الاضطرارُ والاحتياج إلى الشيء، وقد اضطرَّه إليه أمر، والاسم الضَّرَّة، والضرورةُ كالضَّرَّة، والضِّرارُ: المُضارَّةُ، ورجلٌ ذو ضارورة وضرورة؛ أي: ذو حاجة، وقد اضطرَّ إلى الشيء؛ أي: أُلجِئ إليه، وجاء فيه عن الليث: الضرورة اسمٌ لمصدر الاضطرار؛ تقول: حمَلَتْني الضرورة على كذا وكذا، وقد اضطرَّ إلى كذا وكذا، وأصلُه مِن الضرر، وهو الضيق؛ اهـ-1-

والضرورةُ في الشرع - كما قال السيوطي) في الأشباه والنظائر :-) "الضرورةُ: بلوغُه حدًّا إن لم يَتناوَل الممنوع هلَكَ، أو قارب، وهذا يبيح تناولَ الحرام"؛ اهـ-2-

قلتُ: والقاعدة الأصولية: (الضرورات تُبيح المحظورات) مأخوذةٌ مِن القرآن الكريم في كثير مِن الآيات؛ منها:

قوله تعالى :(وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) -الأنعام: ١١٩-.

وقوله تعالى :(فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) -البقرة: ١٧٣-.

ومعنى الاضطرار :الحاجةُ الشديدة.

والمحظور :المنهيُّ عن فعله.

والمقصود منها أن الممنوعَ شرعًا يُباح عند الضرورة، وذلك بشروط؛ ليسوغ تسميتها ضرورةً شرعية، فشريعة الإسلام ووسطيتها تُباح فيها المحظورات، وتُحَل فيها المحرَّمات، بقدر ما تنتفي هذه الضرورات، والضرورة التي تُبيح فعلَ المحرَّم هي كل ما يَلحق العبدَ ضررٌ بتركه، وهذا الضرر يلحق الضروريات الخمس: الدِّين، والنَّفْس، والنَّسل، والعقل، والمال.

ويُؤيِّد ذلك ما ثبت في السُّنة النبوية في أحاديث، أذكر منها على سبيل المثال قولَه صلى الله عليه وسلم: ((لا ضرر ولا ضِرار.-3-))
فالأمر إذًا ليس على هوى الناس وميولِهم الشخصية، بل حسب ضوابطَ شرعيةٍ استنبطها العلماء من القرآن والسُّنة، فقد تساهل الكثيرُ مِن الناس في ارتكاب المحرمات والمحظورات بحجَّة الضرورة، وهذا غلوٌّ مَمْقُوت، وجهل محض في فهم النصوص، ومثال على ذلك أن الكثير مِن الناس يضعون أموالهم في البنوك الرِّبَوِية، بزعم الخوف على المال من السرقة، ولا يكتفي بهذه الضرورة، بل يستحل الواحدُ منهم لنفسِه فوائدَها الرِّبوية، باعتبارها حقًّا له، وليست مالًا حرامًا ينبغي تركه والتخلص منه، وكذلك السفر إلى بلاد الكفر والفساد والرزيلة بحجة العمل أو الدراسة، ومعاشرتهم ومصاحبتهم، وما في ذلك من التودُّد لهم وموالاتهم، وليس هذا مِن الضرورات التي تبيح المحظورات كما لا يخفى، وقِسْ على ذلك الكثيرَ مما جعله الناس ضرورةً بالهوى.

وليكن معلومًا أن هذه القاعدةَ الأصولية في الشريعة الربانية مَبْنيةٌ على التيسيرِ، ونفي الحرج، والتخفيف عن الأمة، ورفع الإِصر عنها؛ لهذا كان مِن قواعد أصول الفقه: (لا مُحرَّم مع الضرورة، ولا واجب مع العجز))، وهذا من وسطيتها واعتدالها، وهي من نعم الله علينا، فلا يخلو الإنسان من لحظات ضعف وعجز ولين، ويصبح المحرم من الضرورة التي تحفَظ حياته لطبيعة خلقته، كما قال تعالى :(يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) -النساء: ٢٨-.

يقول الشافعي - مبيِّنًا حد الضرورة -: "فيحل ما حرم من ميتة ودم ولحم خنزير، وكل ما حرم مما لا يُغيِّر العقل من الخمر للمضطر، والمضطرُّ الرجل يكون بالموضع لا طعام فيه معه، ولا شيء يسد فورة

جوعِه من لبن وما أشبهه، ويُبلِغه الجوعُ ما يخاف منه الموت، أو المرض وإن لم يَخَفِ الموت، أو يضعفه ويضره، أو يعتلُّ، أو يكون ماشيًا فيضعف عن بلوغِ حيث يريد، أو راكبًا فيضعف عن ركوب دابته، أو ما في هذا المعنى من الضرر البيِّن."

ثم أضاف رحمه الله: "وأحب إليّ أن يكون آكلُه إن أكل، وشاربه إن شرب، أو جمعهما، فعلى ما يقطع عنه الخوفَ ويبلُغُ به بعضَ القوة، ولا يبين أن يحرم عليه أن يشبع ويروى، وإن أجزأه دونه؛ لأن التحريم قد زال عنه بالضرورة، وإذا بلغ الشبع والريَّ، فليس له مجاوزتُه؛ لأن مجاوزته حينئذٍ إلى الضرر أقرب منها إلى النفع، ومن بلغ إلى الشبع، فقد خرج في بلوغه من حدِّ الضرورة، وكذلك الري، ولا بأس أن يتزوَّد معه من الميتة ما اضطر إليه، فإذا وجد الغنى عنه طرَحَه"؛ اهـ.-4-

قلت :وبناءً على ذلك يتبيَّن أن الضرورة تُقدِّر بقدرها، ومن التفريط في الدين إباحةُ المحرَّم بحجة الاضطرار، وليس كذلك، ولكن يبقى التطبيق الشرعيُّ الصحيح لهذه القاعدة الأصولية بإباحة المحرَّم عند الضرورة؛ كحفظ الدِّين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال؛ أي: الضرورات الخمس التي لا تقومُ حياةُ الإنسان إلا بها - دليلًا ساطعًا لكل ذي عين على سموِّ ورقيِّ هذه الشريعة الربانية السمحة، التي تسمو بالنفس البشرية وترفعها لمقامٍ يليق بها؛ لتميُّزِها عند ربِّها عن كافة مخلوقاته عز وجل.

من وسطية الإسلام التيسير عند المشقة والعذر:

لا أُغالِي إن قلتُ: ليس هناك شريعةٌ سماوية يسَّرت أمرَ الدين رِفقًا بالبشر، مِن شريعة الإسلام التي تتميز بوسطيتها واعتدالها في بيان الأوامر والنواهي، منعًا للحرج والمشقة، والأدلةُ مِن القرآن كثيرةٌ؛ منها : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) -البقرة: ١٨٥-، وقوله تعالى : (هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) -الحج: ٧٨-.

•ومن السُّنة النبوية ما ثبَت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين قولُه: ((يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا.-5-))

•وما ثبَت عن أبي هريرة أن أعرابيًّا بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((دعُوه، وأَهرِيقُوا على بَوْلِه ذَنوبًا مِن ماءٍ، أو سَجْلًا مِن ماء؛ فإنما بُعِثْتُم مُيسِّرين، ولم تُبعَثوا مُعسِّرين-6-))، ومثل ذلك من الأحاديث كثير.

ومما لا شك فيه أن حياة النبيّ ِ وسُنَّته صلى الله عليه وسلم، هي تطبيقٌ عمليٌّ للقرآن، وفي بيان وسطية الإسلام، فقد كان مِن هَدْي النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في الأمر خيارٌ، أن يختار الأيسر؛ فما عُرِض على الرسول صلى الله عليه وسلم أمرانِ إلا اختار أيسرَهما، ودليلُ ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما خُيِّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرَهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناس منه، وما انتقم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لنفسِه، إلا أن تُنتهَك حرمةُ الله عز وجل.-7-"

وأخيرًا :نُذكِّر كلَّ مَن يريد التشدُّد والغلو والبعد عن الوسطية، بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الدين يسرٌ، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقارِبوا، وأبشِروا، واستعينوا بالغَدوة والرَّوحة وشيءٍ من الدُّلْجَة.-8-))

•قال ابن حجر رحمه الله ما مختصره: "والمعنى: لا يتعمَّق أحدٌ في الأعمال الدينية ويترُك الرِّفق إلا عجَز وانقطع، فيُغلَب، قال ابن المنير: في هذا الحديث عَلَمٌ مِن أعلام النبوة، فقد رأينا - ورأى الناسُ قبلَنا - أن كلَّ مُتنطِّع في الدين ينقطع، وليس المرادُ منعَ طلب الأكمل في العبادة؛ فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدِّي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المُفضِي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته؛ كمن بات يصلِّي الليل كلَّه ويغالب النوم إلى أن غلبَتْه عيناه في آخر الليل، فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمسُ، فخرج وقت الفريضة"؛ اهـ.-9-

ونُبيِّن هنا بعضًا من الأمثلة لبيان مقصودنا بتيسير الشريعة للأوامر والنواهي رحمة بالعباد في كثير من العبادات والمعاملات وغير ذلك؛ منعًا للمشقة، ورفعًا للحرج، ونطيل بعض الشيء في البيان؛ لأن هذا

بابٌ واسع للغلو إن أُسيء فهمُه، وما أذكره هنا على سبيل المثال لا الحصر، والله المستعان وعليه التكلان:

-1مِن معالم التيسير ورفع الحرج في الطهارة التيمُّمُ عند فقدان الماء أو نقصه:

التيمُّم بالصَّعيد الطاهر بدل الطهارة بالماء عند عدمه، أو عدم القدرة على استعماله؛ كما قال سبحانه :(وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) -المائدة: ٦-.

-2ومِن معالم التيسير ورفع الحرج في الصلاة قصرُ الصلاة الرباعية في السفر:

لقولِه تعالى :(فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا) -النساء: ١٠١-.

ولحديثِ عائشةَ زوجِ النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "فُرِضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأُقِرَّت صلاة السفر، وزِيدَ في صلاة الحضر.-10-"

قال ابن العثيمين رحمه الله ما مختصره: "وقال بعض العلماء: إن قصر الصلاة ينقسم إلى قسمين: قصر عدد، وقصر هيئة، فإذا اجتمع الخوف والسفر اجتمع القصرانِ، وإن انفرد أحدُهما انفرد بالقصر الذي يلائمه، فإذا انفرد السفر صار القصر بالعدد، وإذا انفرد الخوف صار القصر بالهيئة، وإن اجتمعا صار في هذا وفي هذا، وهذه مناسبة جيدة وطلب للعلة والحكمة، ولكن الذي يَفْصِلُ هو قولُ الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إنها صدقة تصدَّق الله بها عليكم، فاقبَلُوا صدقتَه))"؛ اهـ.-11-

-3ومن معالم التيسير ورفع الحرج في الصيام أمورٌ؛ أذكر منها:

-تحديد وقت الصيام والإفطار بمدة معينة، وتحريم الوصال، والحث على تعجيل في الإفطار وتأخير السحور، وأدلة ذلك من القرآن قولُه تعالى :(عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ

قَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) -البقرة: ١٨٧-.

•ومن السنة حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ في السُّحُورِ بَرَكَةً.-12-((

•وحديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: ((لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ.-13-((

•ومنها رُفِعَ عن العبد لنسيانٍ أو خطأ وزرُ الإفطار في نهار رمضان، وله أن يكمل صيامه ويُتِمه؛ فإنما أطعمه الله وسقاه، ودليله حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا نسِيَ فأكل وشرِب، فليُتِمَّ صومه؛ فإنما أطعمه الله وسقاه.-14-((

•ومنها عدم الصيام في السفر والمرض للمشقة، والتعويض عند المقدرة وزوال العذر، وأدلته من القرآن :(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) -البقرة: ١٨٥-.

ومن السُّنة أحاديث كثيرة؛ منها: ((ليس مِن البرِّ الصيامُ في السفر-((15-.

-4ومن معالم التيسير ورفع الحرج في الحجّ الاستطاعةُ الجسدية والمالية، وغير ذلك، ومَن لم يستطع فليس عليه وزرٌ، والفرض مرة واحدة في العمر؛ لِما فيه من مشقة وجهد وبذل المال الكثير، والزيادة عن ذلك نافلة للعبد؛لقوله تعالى :(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) -آل عمران: ٩٧-.

قال العلامة ابن العثيمين رحمه الله" :والاستطاعة نوعان: استطاعة بالبدن، واستطاعة بالمال، فالاستطاعة بالمال شرط للوجوب، والاستطاعة بالبدن شرط للأداء، فإذا كان الإنسان فقيرًا ليس عنده مال، فإنه لا يجب عليه الحج، إذا كان يحتاج إلى راحلة؛ لأنه لا يستطيع، ولو كان بدنه قويًّا، وإذا كان عنده مال لكن لا يستطيع أن يحُجَّ ببدنه؛ لأنه

ضعيف كبير أو مريض مرضًا لا يُرجَى بُرؤه، فإنه يجب عليه أن يُقيم مَن يحُجُّ عنه، فالاستطاعة بالبدن شرط للأداء، والاستطاعة بالمال شرط للوجوب"؛ اهـ.

-5من معالم التيسير في العادات النهيُ عن الإسراف في المباحات للضرر:

وهذا من عظمة شريعة الإسلام، فليس التيسير في العبادات فقط، بل يتعدَّاها للمباحات، فييسر على الإنسان المؤمن في قضاء حاجاته الطبيعية؛ من المأكل والمشرب وخلافه، دون سرف ومجاوزة الحد؛ حتى لا يتضرَّر البدن، وحفظًا للصحة والمال مما ليس له فيه حاجة؛ كما قال تعالى :(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) -الأعراف: ٣١-

.

ومِن الأحاديث قولُ النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحَسْبِ ابنِ آدم أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه، فإن كان لا محالة، فثُلُثٌ لطعامه، وثُلُث لشرابه، وثُلُث لنَفَسِه.-16-))

قلت :والإسلام يحثُّ على أن يكون الإنسان وسطًا بلا إفراط أو تفريط؛ حتى لا يُهلِك نفسَه، ويُؤذِيَ صحَّتَه، وقد بيَّن ابن القيم رحمه الله هذا المعنى بكلمات حكيمة، قال ما مختصره: "والفرق بين الاقتصاد والتقصير: أن الاقتصاد هو التوسطُ بين طرفَي الإفراط والتفريط، وله طرفان هما ضدانِ له: تقصيرٌ ومجاوزة، فالمقتصد قد أخذ بالوسط، وعدَلَ عن الطرفين، قال تعالى :(وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) -الفرقان: ٦٧-، وقال تعالى :(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) -الإسراء: ٢٩-، وقال تعالى :(وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) -الأنعام: ١٤١--17-"؛ اهـ.

-6ومن معالم التيسير في الشريعة ما يتعلَّق بالزواج وآدابه الميسّرة له؛ مثال ذلك:

• يسَّرتِ الشريعةُ أمرَ الزواج؛ فقد أباحَتِ النظرَ للأجنبية بِنيَّةِ الزواج، رغم تحريم ذلك؛ ليكون الرجل على بيّنةٍ مِن أمره قبل أن يتزوَّج، فعن جابرٍ

بن عبدالله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا خطَب أحدُكم المرأةَ، فإن استطاع أن ينظُرَ إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعَلْ))، قال: فخطبت جاريةً، فكنت أتخبَّأ لها حتى رأيتُ منها ما دعاني إلى نكاحِها وتزوُّجِها، فتزوَّجتُها.-18-

•ومنها ما يخصُّ الطلاق، فقد أباح الله تعالى الطلاق عند الضرر، وجعله بعدَ استنفادِ وسائلَ غايةٍ في السموّ والرقي للحياة الزوجية واستقرارها؛ من الوعظ، والإرشاد، إلى الهجر في الفراش، إلى الضرب غير المبرِّح؛ لقوله تعالى :(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) -النساء: ٣٤-، فإن لم تنفَعْ هذه الوسائل، يسَّر الله تعالى أمرَ الطلاق وجعله مراحلَ؛ لعل وعسى أن يتراجَعَ الرجلُ، وهذا يدل على سماحة الإسلام ويسره، ودليل ذلك قولُه تعالى :(الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) -البقرة: ٢٢٩-.

•يسَّرتِ الشريعةُ أمرَ الرجوع بعد الطلاق رحمةً بالعباد، فإذا طُلِّقَت الزوجة من الزوج طلقةً رجعية، لفورة غضب أو لأي سبب من الأسباب المباحة له، ثم حدث ندمٌ، فله أن يردَّها لعصمته، ما دامت المرأة في عِدَّتِها دون أي إرهاقات مالية أخرى.

وكفى بجمع شملِ الأسرة، وعدم تشتُّتها، واستقرارِها دلالةً على وسطية الشريعة واعتدالها؛ كما قال تعالى :(وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) -البقرة: ٢٢٨-.

وبعدُ، فالشريعةُ الإسلامية قد يسَّرت أمرَ الدين - حلاله وحرامه - على العباد، ما لا يوجد في دين آخر، ولله الحمد والمنَّة.
والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وآله وصحبه أجمعين.
والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

-1-انظر: لسان العرب؛ لابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٤/ ٤٨٣) - فصل الضاد المعجمة - مختصرًا وبتصرف - نشر: دار صادر - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
-2-انظر: "الأشباه والنظائر"؛ لعبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ص/ ٨٥) - نشر دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى سنة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
-3-انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته "الفتح الكبير"، (برقم/ ١٣٤٧٤)؛ لمحمد ناصر الدين الألباني.
-4-انظر: كتاب "الأم"؛ لمحمد بن إدريس الشافعي (٢/ ٢٧٦)، مختصرًا - نشر دار المعرفة - بيروت - لا يوجد رقم الطبعة - سنة النشر: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
-5-أخرجه البخاري (برقم/ ٦٩) - باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوَّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا.
-6-أخرجه البخاري (برقم/ ٦١٢٨) - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يسِّروا ولا تُعسِّروا.((
-7-أخرجه مسلم (برقم.(2327 /
-8-أخرجه البخاري (برقم/ ٣٩).(
-9-انظر: شرح ابن حجر العسقلاني لحديث البخاري في: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٩٥) - الناشر: دار المعرفة - بيروت، سنة الطبع ١٣٧٩.
-10-أخرجه مسلم (برقم/ ٦٨٥) - باب صلاة المسافرين وقصرها.
-11-الشرح الممتع على زاد المستقنع؛ لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (٤/ ٣٥٦) - نشر دار ابن الجوزي - الطبعة : الأولى، سنة ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ.
-12-أخرجه البخاري (برقم/ ١٩٢٣) - باب بركة السحور من غير إيجاب.
-13-أخرجه مسلم (برقم/ ١٠٩٨) - باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.
-14-أخرجه مسلم (برقم/ ١١٥٥) - باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

-15-أخرجه مسلم (برقم/ ١١١٥) - باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية.
-16-انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته "الفتح الكبير"، (برقم/ ٥٦٧٤)؛ لمحمد ناصر الدين الألباني - نشر المكتب الإسلامي - دمشق - الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
-17-انظر: "الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء"، (ص/ ٢٥٧) - لابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت - سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
-18-حسَّنه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (برقم/ ١٧٩١) - نشر المكتب الإسلامي - بيروت - إشراف: زهير الشاويش - الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٢
زواج المسلمة من النصراني بين الهوى والشرع

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يُضْلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:
فما أكثر ما قرأنا وسمِعنا عن العلاقات الغرامية بين المسلمة بالمشرك، والأفدح من ذلك الزواج به! فهذا دليل على الأُميَّة الدينية في عقول المراهقين من الأُمَّة المحمدية من شبابنا من الجنسيين إلا من رحم ربي ولا بد من وقفة لبيان حقيقة هذا الحب وذاك الزواج؛ ليهلك من هلك على بينة، ويحيا من حي عن بيّنة، ونبدأ ونقول بحول الله وقوّته.

عفا الله عمَّن فعلت ذلك من نسائنا وبناتنا، وهذا أمر ليس غريبًا بل هو واقع مُرٌّ؛ كطعم العلقم بين كثير من الشابّات، ومن المعلوم بالدين بالضرورة أن علاقة المرأة المسلمة بالنصراني محرَّمة شرعًا، والحب هنا إنما هو من كيد إبليس وتلبيسه؛ لهذا حذَّرنا الله تعالى منه؛ فقال :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) -النور: ٢١-.

والمرأة المسلمة إذا تزوّجت مشركًا وهي عالمة بالحكم، فهي زانية، والزواج فاسد، وهذا كلام كل أهل العلم بلا خلاف؛ لوجود نصوص من القرآن صريحة بالتحريم؛ قال تعالى :(وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) -البقرة: ٢٢١-، وقال تعالى :(فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) -الممتحنة: ١٠-.

وما دام الله حرّم زواج المسلمة المشركَ، وأباح العكس للضرورة؛ قال

تعالى :(الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَان وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَان فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) -المائدة: ٥-.

والمراد بالإحصان لنساء أهل الكتاب العفة من الزنا، وعلى الرغم من إباحة زواج المسلم بالكتابية، فهو غير مستحب؛ لأن الكثير من شبابنا في عصرنا هذا، يتَّصِف بالأُميَّة الدينية والخُلُقية معًا إلا من رحِمَ ربّي، والحكمة من زواج الكتابية أن القوامة للرجل، وهو يقدر بقوة إيمانه وأخلاقه على أن يحببها في الإسلام؛ ولكن بسبب الأُميَّة والجهل بالشرع فضلًا عن سوء الخُلُق أخشى أن تبدِّل الكتابية دينَه بفتنتها وجمالها، وهذا واقع، وكم من شابٍّ تزوَّج كتابية، وداخ في محاكم بلادها؛ ليُثبت بنوَّة أبنائه منها، ومآسٍ غير هذا يعلمها القاصي والداني حتي قال الإمام مالك عن زواج الكتابية إنه "مستثقل مذموم" على الرغم أنه مباح في الشرع، فليس شبابنا في قوة وإيمان شباب الصحابة ورجالها، ولا من بعدهم، وأن عاد الدين قويًّا بشبابه وقوة إيمانهم بالله، فالشرع يبيحه ولا يُحرّمُه؛ لأنه يعزُّ الإسلام ويزيده قوة، والهدف الدين وليس إشباع الشهوة بفتاة من فرنسا أو ألمانيا للتفاخُر، وأكثرهن نصرانيات بالاسم فقط، بل تجدهُنَّ وثنيات، وأصحاب فكر شيوعي إلحادي، وليس عندهُنَّ إيمان بالله، وقد ذهب جماهير أهل العلم إلى حِلِّ الزواج بالكتابية، وخالف في ذلك بعضهم، واستدلُّوا بما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما بما رواه البخاري في صحيحه، برقم (٥٢٨٥) "إذا سئل عن نكاح الرجل النصرانيةَ أو اليهوديةَ قال: ((إن الله حرَّم المشركات على المؤمنين، ولا أعلم من الإشراك شيئًا أكبر من أن تقول المرأة ربها عيسى وهو عبد من عباد الله.((

كما أن الشباب ينسى وصية رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أوصاه بها، وهو قوله: ((تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحَسَبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك))، وقد رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا يخفى أن الكتابية بخلاف ذلك، بل الأدهى من ذلك أن كان الله تعالى يشترط أن تكون محصنة؛ أي: عفيفة، فحسب إحصاءاتهم الرسمية هذا نادر لطغيان الفاحشة فيهم، والحمد لله على نعمة الإسلام التي حفظت نساءنا وبناتنا العفيفات، حفظهُنَّ الله من كل سوء في كل عصر ومصر.

ونحن ننصح كل فتاة مسلمة يتَّجه تفكيرُها لعلاقة عاطفية مع مشرك: لا تلعبي بالنار، والفتنة أشدُّ من القتل، وأسأل الله لك وللجميع الهداية، والعجب أن كان الحب بين مسلمة ومسلم لا رابط بينهما من صلة أي أجنبي عنها، ويقول بملء فيه: أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويجاهر بها، وربما يصلي ويصوم ويعرف الله ويخافه؛ ولكنه في ضعفه وغلبة هواه، وتلبيس شيطانه يخلو بها ويبادلها مشاعره، ويراسلها على البريد أو يتصل بها بالهاتف، وربما ما هو أسوأ من ذلك، محرَّمٌ في ديننا، فما بالنا بالمسيحي المشرك الذي يقول: عيسى هو الله أو ابن الله؟ قال تعالى :(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) -المائدة: ٧٢-، وقال تعالى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) -المائدة: ٧٣-، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّار))؛ رواه مسلم.

والحديث يدلُّ كما لا يخفى أن من بلغته دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يؤمن به فهو كافر بالله، من أهل النار يهوديًّا كان أو نصرانيًّا، والنصراني اليوم لا يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأنه رسول من عند الله، وهو مفهوم عند العقلاء والفقهاء لوجود الدليل؛ ولكن غير المفهوم هو العلاقة الغرامية بين المسلمة والنصراني، ما الحكمة في استمرار هذه الحب الذي يُوقِظ فتنة قد تطول الجميع قطعًا ليس لتضييع الوقت والمزاح إلى آخره؛ بل للارتباط والزواج، والسؤال هو كيف؟

وتحريم هذا الزواج بين المسلمة والمشرك أمرٌ معلومٌ من الدين بالضرورة، ما الحكمة في استمراره؟

ربما تقول المسلمة :أنا أطمع في إسلامه ليحِلّ لها، وتكون سببًا لذلك، ونقول لها: هذا كلام جميل في ظاهره الرحمة، وفي باطنه العذاب، وبيان ذلك ما يلي:

من المعلوم في دنيا الناس أن الوصول لذلك يحتاج لخلوة ومراسلة والكثير من المحرَّمات والتنازُلات، وما هو أسوأ مما ذكرنا، والحاصل كما لا يخفى على اللبيب حرمة الوسيلة لذلك، فضلًا عن أنها غير مضمونة، ولن يستمرَّ الأمر قطعًا إلى ما لا نهاية؟

وأقول لمن ابتليَتْ بحُبِّ المشرك :أختنا، قد تكون هذه حيلة منه أن ينطق بالشهادتين فيسلم ويحسن إسلامه ظاهرًا، وأنت لا تدرين حقيقة نيَّته، وبعد أن تقع الفأس في الرأس كما يقولون، وفي منتصف الطريق بلا أنيس أو جليس، فالكل سوف يتبرَّأ منك بالتأكيد، وعلى فرض صدق نيَّته وحبه، فهل يترك اهله ويفر معك كما في قصص الحب الذي ادمنها المراهقين وبينها وبين الواقع بعد المشرقين، كلا ورب الكعبة سيهلك معك، ولا أمل لكما حتى بالهرب وقطع الصلة بالأهل والأصدقاء والأحبَّة، ومن أجل ماذا؟

أختنا في الله، مَنْ حَامَ حول الحِمى يُوشِكُ أن يقع فيه، خصوصًا في العلاقات المحرَّمة مثل هذه.

وسئل الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله: ما حكم زواج المسلمة من المسيحي، وما حجم شرعية أبناء هذا الزواج، وما الحكم على المأذون الذي قام بإتمام هذا الزواج، وما حكم الزوجة لو كانت تعلم ببطلان هذا الزواج، وهل يُقام عليها الحدُّ الشرعي أم لا؟ وإذا أسلم الزوج فما حكم الزواج الأول؟ وكيف يتمُّ النكاح الجديد؟

فأجاب :يحرم على المسلمة نكاح النصراني وغيره من الكفار؛ لقوله تعالى :(وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا) -البقرة: ٢٢١-، وقوله :(لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) -الممتحنة: ١٠-، ومتى عُقِد له عليها وجب الفسخ فورًا، فإن علمت بذلك الزوجة، وعرفت الحكم استحقَّت

التعزير، وكذا يُعَزَّر الوالي والشهود والمأذون إذا علموا ذلك، فإن وُلِد لهما أولاد تبعوا أُمَّهم في الإسلام، فإن أسلم الزوج بعد العقد جُدِّد له عقد النكاح، وذلك بعد التأكُّد من صحة إسلامه؛ كي لا يكون حيلة؛ فتاوى المرأة المسلمة (٢/٦٩٧).

ونصيحتي لبناتنا ونسائنا، أقول لكل واحدة منهُنَّ: لا يغرُّك المظاهر، وحذار أن تفتحي على نفسك بابًا من أبواب الفتنة! واحذري من فتنه يجرُّكِ إليها هذا المشرك، وهو ليس جاهلًا بالحكم، ويعلم ما يفعله قطعًا، ويطمع فيك؛ ولكنه مراهق مثلك لا يدري من دينه شيئًا، ولن يتوقَّف ويردعه دينه، فلا دين عنده إلا الشيطان والهوى مالم يهدِهِ الله، والله أعلم بنيَّته ونفسه التي بين جنبيه؛ ولكن هو غير مأمون الجانب، فلا تتردَّدي في قطع علاقتك به؛ لخوفك من انكساره أو تجريحه، فليحدث هذا، فنفسك التي بين جنبيك أولى بالنجاة والتجريح يوم لا ينفع الندم بعد العدم.

وأقول لكل امرأة مسلمة أحبَّتْ مشركًا: كوني على يقين، وهذا من خبرتي في الحياة أن من هداها الله إلى نصفها الآخر وشريك عمرها، وهداه إليها أنه كما يقال النصيب في كلامنا؛ ولكنه كما لا يخفى بتقدير العزيز الحميد، فمن كان من نصيبك وحلالك في هذه الدنيا فسترين الأمور تسير بيُسْر وبحفظ الله وتوفيقه، وبمباركة الجميع، وما علينا إلا ابتغاء الأسباب الموصلة لذلك بما أحلَّه الله ورسوله، وأن تعسَّرَ الطريق، وخرجنا عن حدود الله، فإن التوفيق بينكما هو من تلبيس الشيطان كما قلت.

فليكن عندك إرادة وعزيمة واختاري بين رضا الشاب وعدم جرحه مع مباركة الشيطان وفتنة لا يعلم مداها إلا الله أو رضا الله، وهو الذي يُيسِّر لك الأسباب والمسببات أن ابتغيت رضاه بطاعته فيما أباحه، والحذر مما حرَّمَه لتنالي رضاه وجنَّته.

والأمر في يديك وحدك لتقرري أي الطريقين تختارين، أسأل الله أن يهديك ويعينك على الصراط المستقيم الذي به حياة القلوب حقًّا وصِدْقًا.

وقد تقول أحدهُنَّ :وإن أثبت هذا الشابُّ حُسْنَ النية، وكان فعلًا محبًّا للإسلام، وأسلم وأشهر إسلامه، هل يصحُّ تركُه في هذا الأمر وحده أم تقف بجانبه لتنصُره وتُعينه، وهي كانت سببًا لهدايته؟
وجوابنا عن ذلك الاحتمال لو ثبت حسن نيَّته وحُسْن إسلامه ظاهرًا وباطنًا بأن أشهره وصلّى، وعمِل بما أمره الله به، وكان مُحِبًّا للإسلام ولرسوله صلى الله عليه وسلم كما يُقال، فلا ريب أنه صار مسلمًا موحِّدًا مثلنا، لا فارق بيننا وبينه إلا بالتقوى والعمل الصالح، له ما لنا، وعليه ما علينا، وعفا الله برحمته عما سلف، فالإيمان يمحو الذنوب، والإسلام يهدُّ ما قبله، وإلى هنا والكلام لا غبار عليه وآلاف مؤلفة في أرجاء المعمورة يدخلون الإسلام في كل عصر ومصر، وهداهم الله للإيمان، كل ذلك بفضل الله، وله الحمد والمنة؛ ولكن مشكلة هذه المسلمة التي غرّها الشيطان والهوى أنه تحبُّه على دينه ونحن نخشى أن يَغُرّها بإسلام ظاهر خبيث؛ ليتزوَّجَها من خلف عيون الأهل وجهلهم بما تفعل ابنتُهم المراهقة.

وعلى فرض أنه صار مسلمًا حقًّا، والتزم بتعاليم الإسلام، وأشهر إسلامه فأمامه أمران:
الأول :أن يكتم إسلامه، ويتظاهر بالكفر أمام أهله، وحتى لا يُثير ريبة أهل الفتنة ومروجيها، وهذا مستحيلٌ في شريعتنا إلا للضرورة التي فيها الهلكة المتيقنة، وليس المتوهمة كقتله أو تعذيبه إذا كانت هذه الضرورة وهي تقدر بقدرها، فهو ينطبق عليه قوله تعالى :(إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) -النحل: ١٠٦-، ولتكن عبادته سريةً من صلاة وصيام ونحو ذلك، وقطعًا إشهار إسلامه هنا خطأ وخطر على حياته، هذا في حالة التيقُّن بالخطورة، فالأصل أنه يُجاهر بإسلامه.

ويأتي الجانب الثاني وهو الأهل: هل يقطع الصلة بهم بعد إسلامه، أما يستمرُّ في وصلهم كما يأمره الإسلام؟
وينبغي أن يتجنَّب الأعمال الشركية، ولا يشاركهم في الذهاب للكنيسة إلا خوفًا من شرِّهم، وليتجنَّب أعمالهم الشركية وغير ذلك بأي عذر، وإن انكشف أمرُه فلن يستطيع الردة، وإلَّا استحقَّ القتل شرعًا لردته، وله أن

يكيّف نفسه على مصائب ومشاكل جمة، فليس الثبات على اعتناق الإسلام من المسيحي أو المسيحية سهلًا في بيئة يشوبها التعصُّب والجهل والحمية الجاهلية للدين إلا من رحم ربي ممن هداه للحق والتعقُّل.

هذا وإن كان إيمانه وإسلامه قويًّا وحقيقيًّا سيصمد إن شاء الله؛ لكن لا يجب عليه أن يعلِن إسلامَه على الملأ ما دام سيتعرَّض لأذية من أهله أو غيرهم، ويكفي إسلامه سرًّا؛ قال الله تعالى :(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) -غافر: ٢٨-.

فهذا الرجل مؤمن بنصِّ القرآن مع أنه كان يخفي إيمانه عن فرعون وقومه؛ خوفًا على نفسه، وخلاصة القول هو إما أن يجهر بإسلامه وهو الأصل ويتزوَّج مسلمةً برضى أهلها ووليِّها مع علمهم بأنه غير مأمون الجانب، وإمَّا أن يكتم إسلامه ويسافر إلى مكان بعيد، ويعيش مع زوجته وأسرته؛ تفاديًا للخطر والضغوط من الأهل وغيرهم، وحفاظًا على دينه الجديد، وجوابنا على هذا الاحتمال كسابقه إن رضي وليُّ أمرها فالأمر إليه، وكان إسلامه سرًّا وأشهره بحضور ولي أمر البنت وبعض المسلمين وحَسُن إسلامه بشهادة شهود وليس واحد أو اثنين، فيجوز ولكن في القلب من ذلك شيء، فكما لا يخفى في أوربا يذهب النصراني ويُعلِن إسلامه في أحد المراكز الإسلامية ويتزوَّج مسلمةً، وبعد فترة تفترُ عزيمتُه ولا يفعل ما يمليه دينه من واجبات وعبادات، وكل غايته أن يستمتع بها، والسؤال لكل امرأة رضيت بهذا الوضع وتلك الحلول، ماذا لو ظهرت ردَّته - أي: ارتدَّ عن الدين- هل المسلمة العفيفة من الإيمان لتكشف أمره وتُفارقه لحرمة الاجتماع معه بعد أن رُزقت منه بالأولاد؟ الخطورة ستظلُّ، فالطبع في عصرنا هذا غالب على الإنسان، فإيماننا ليس كإيمان الصحابة، والزوج المسلم الموحِّد يُبارز الله بالمعاصي؛ ولكنه مع ذلك مسلم وزوجها شرعًا صحيح؛ ولكن النصراني الذي أسلم وتزوَّج مسلمةً ماذا لو ارتدَّ؟! ماذا تفعل الزوجة المسلمة؟ أنا أميل لزواجها من مسلم أفضل لها وأسلم في زماننا هذا، فلا يأمن جانبه وهو معها بعيدًا عن أهلها.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله" :فإذا كانت الكتابية معروفة بالعِفَّة والبُعْد عن وسائل الفواحش جاز؛ لأن الله أباح ذلك وأحلَّ لنا نساءهم وطعامهم؛ لكن في هذا العصر يُخشى على مَنْ تزوجهُنَّ شَرٌّ كثير؛ وذلك لأنهن قد يدعونه إلى دينهن، وقد يُسبِّب ذلك تنصُّر أولاده، فالخطر كبير، والأحوط للمؤمن ألا يتزوجها، ولأنها لا تؤمن في نفسها في الغالب من الوقوع في الفاحشة، وأن تعلق عليه أولادًا من غيره؛ لكن إن احتاج إلى ذلك فلا بأس حتى يعِفَّ بها فرْجَه، ويغضَّ بها بصره، ويجتهد في دعوتها إلى الإسلام، والحذر من شرّها، وأن تجرُّه هي إلى الكفر أو تجر الأولاد"؛ انتهى من "فتاوى إسلامية" (١٧٢/٣).

وعمومًا التجارب علمتنا هذا؛ ولكن لو استراح الأب، ورضِي بالمخاطرة لو انكشف الأمر، ويثق في ابنته لو ارتدَّ عن دينه، فلا يمنع فهو مسلم وهي مسلمة، والزواج تمَّ بأركانه وشروطه، وذهب بعيدًا لا يعلم أحد قصته كزوج وزوجة، ويمارس عباداته مع غيره من المسلمين بعيدًا عن عيون أهله ومَنْ يعرفونه، ولا يوجد مانع شرعي، ونسأل أن يدوم هذا بتوفيق الله ورعايته إنه وليُّ ذلك والقادر عليه،والحمد لِلّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين وآله وصحبه أجمعين.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/130237/#ixzz5h0wvDSIQ

٣
السعادة الحقيقية في الرضا والقناعة

الحمد لله رب العالمين وكفى، والصلاة والسلام على من اصطفى وبعدُ:
الكثير منَّا ساخطٌ على حاله، لا يُرضيه شيءٌ أبدًا، ويطمع في المزيد وكفى بهذا من آثار مدمِّرة على حياة المرء بسبب المعاصي والذنوب وهو لا يدري! وإنَّ كثيرًا من الناس عندما يُصيبهم بلاءٌ لا يصبر ويتمرَّد على قضاء الله، والله سبحانه وتعالى يقول :(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) -الزمر: ١٠-، والواجب على من ابتلاه الله أن يسأل الله العافية والسلامة، وأن يُعينه على التوبة والإقلاع عن المعاصي نفسه، وأن يجتنب أكل الحرام؛ حتى تكون دعوتُه مستجابةً.

وليدرك كل مسلم أنه ليس له إلَّا الرضا والقناعة، والصبر على ذلك، وهو الدليل على صدق إيماننا وقوَّة يقيننا، وتوكُّلنا على الله تعالى، وهو أرحم الراحمين، وإن كان يظنُّ الواحد منا أن كل ما يحدث له مصيبة تستحق منه كل هذا الجزع والخوف والهم والغم، فهو مخطئ قطعًا، لماذا؟

لأن كل المصائب هيِّنة إلَّا المصيبة في الدين، فإن ترك الصلاة أو الصوم أو الحج مع الاستطاعة أو الخروج عن حدود الله تعالى فيما نهى عنه، كل ذلك وغيره فيه خسران الدنيا والآخرة معًا، وما دام المسلم مؤمنًا إنه لن يُصيبه إلَّا ما كتبه الله له، كما قال تعالى :(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) -التوبة: ٥١-؛ لماذا إذًا الخوف من المجهول؟!

أليس الله خيرًا حافظًا؟ وأين أنت من قول النبي لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما، فقد قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:))يا غلامُ، إني أُعلِّمُك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفَظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنْتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأُمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلَّا بشيء قد كتبَه الله لك،

وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء، لم يضرُّوك إلّا بشيء قد كتبَه اللّه عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحُف))؛ أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة، وإسناده صحيح.

وينبغي لكل منّا الأخذ بالأسباب التي تُعينه على تحسين حاله، والرضا بما قدّره اللّه له، والافتقار واللُّجوء إليه عز وجل، وهذا وحده يُزيل آثار المعاصي والذنوب، ويريح القلب من الهموم والغموم.

للأسف في زمن الغربة عن الدين وضَعْف الإيمان في قلوب العباد نجد الكثير من العباد إلّا مَنْ رحم ربي يخشى الفقر والمرض والموت، والعجز على إجابة متطلّبات زوجته وأولاده، فيلعب الشيطان في عقله، ويُوسوس له بالمعصية بالسرقة والرشوة، وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك، جزعًا من المجهول، وتسأله: أين إيمانك بالقضاء والقدر؟ ثم أين إيمانك برحمة اللّه وكرمه فضلًا عن إيمانك بالقضاء والقدر؟! ألم يقل لنا :(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) -البقرة: ٢١٦-؟! وأقول لك: عليك بالسعي، ودع النتائج على ربِّ الأسباب؛ فقد قال تعالى :(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) -الملك: ١٥-، وهو عز وجل وعدك بالرزق ما دمت تسعى وتتوكَّل عليه حقًّا وصدقًا :(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) -الذاريات: ٢٢-، وحُكي أن إبراهيم بن أدهم رحمه اللّه وجد رجلًا مهمومًا، فقال له: إني سائلُك عن ثلاثة فأجِبْ، قال: نعم، قال له: أيجري في هذا الكون شيءٌ لا يريده اللّه؟

قال الرجل: كلا، قال له: أينقص من رزقك شيئًا كتبَه اللّه لك؟ قال الرجل: كلا، قال له: أينقضي من عمرك شيءٌ كتبه اللّه لك؟ قال الرجل: كلا، فقال له: علامَ الحزن إذًا؟!

نعم، صدق ورب الكعبة، لماذا هذه السلبية والجشع والطمع وهي سبب فيما نقع فيه من معاصٍ، قد يقول بعضُنا: إن زوجتي لا تقنع ولا ترضى، وتُحمِّلني ما لا طاقة لي به، وأنا أمُدُّ يدي للحرام للضرورة وما بيدي حيلة!

فيا عجبًا لحال الرجولة اليوم؟!
لماذا هذا الضعف؟
لماذا هذا الهوان والسلبية؟
ماذا نقول: لا بأس من التجديد في زمن انقلبت فيه المعايير والقيم والفهم الصحيح للدين!

وقل لها - إن كان في القول فائدة - إن زوجات الصحابة كُنَّ يمنعن أزواجهن من الحرام، تقول له الواحدة منهن إذا خرج من البيت: يا رجل اتَّقِ الله، ولا تُدخِل علينا حرامًا، نحن نستطيع أن نصبر على حَرِّ الجوع، ولا نصبر على حرِّ جهنَّم لحظةً واحدةً.

وحذارِ أن تُرضيها بالحرام، فيحل عليك غضب الله تعالى، ولك في رسول الله أُسوةٌ حسنة؛ فقد أخرج البخاري في التفسير أن عمر بن الخطاب دخل عليه، وقال: "وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وِسادة من أدم، حشوها ليف، وإن عند رجليه قرظًا مصبوبًا، وعند رأسه أُهُب مُعلَّقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه؛ فبكيت، فقال: ((ما يُبكيك؟))، فقلت: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله! فقال: ((أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟.((

والنبي صلى الله عليه وسلم لو أراد الدنيا لكانت له، وما تأخَّر الصحابة عن تلبية أوامره؛ ولكنه قانع وراضٍ صلى الله عليه وسلم، وكان يدعو الله ويقول: ((اللهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتًا))؛ متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وكان يربط بطنه من شدَّة الجوع، وعن أبي هريرة قال: "ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام حتى قبض"؛ أخرجه البخاري في الأطعمة.

وليعلم كل منا أن السعادة الحقيقية في دار الدنيا الفانية، والتي هي دارُ ممرٍّ لدار المقرِّ لا تستحقُّ منا كل هذا العناء والضياع وبيع الدين بالدنيا وزينتها، وليس كل ما يسعد المرء من زينة الحياة الدنيا، هو حقيقة السعادة، كلا وإنما هي سعادة زائفة فانية خادعة، لا راحة لها ولا راحة منها.

واعلموا أحبَّتي أن السعادة وراحة البال لا تكون في المال فقط؛ وإنما لا بد من راحة القلب والضمير وهما لا يكونان إلَّا بطاعة الله تعالى وذكره؛ قال تعالى :(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) - طه: ١٢٤-.

قال ابن كثير في تفسيرها رحمه الله :(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي)؛ أي: خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غيره هداه (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا)؛ أي: في الدنيا، فلا طُمَأْنينة له، ولا انشراح لصدره؛ بل صدره ضيّق حرجٌ لضلاله، وإن تنعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبةٍ يتردَّد، فهذا من ضنك المعيشة؛ انتهى.

وإن وسوس لك الشيطان بعدم الرضا والقناعة، فإن النبي يُوصيك أن تنظر إلى من هو أسفل منك؛ حتى لا يَغُرك بالله الغرور، وترضى بما أتاك الله من رزق، وإن كان قليلًا؛ لأنها نعمة يتمنَّاها غيرك ممن هو أسفل منك، ولتتذكَّر قول النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا نظر أحدُكم إلى من فُضِّل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه))؛ مسلم في الزهد والرقائق.

وليعلم كلٌّ منَّا أنه في الدنيا بمنزلة المسجون عن الوصول إلى شهوته، فكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الدنيا سجن المؤمن وجنَّةُ الكافر))؛ مسلم.

والفقر ليس عيبًا؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((فو الله لا الفقر أخشى عليكم، لكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم؛ فتنافسوها كما تنافسوها، وتُهلككم كما أهلكتهم))؛ البخاري (في الجزية).

ومهما كان حالُكَ حالكًا فاصبر واقنع بما أعطاك الله، وخُذْ بما شئت من الأسباب المشروعة، وتذكَّر أنه في النهاية سترى ثمرة صبرك وتوكُّلك ويقينك وقناعتك بإذن الله تعالى.

فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغةً، ثم يُقال: يا بن آدم، هل رأيتَ خيرًا قطُّ؟ هل مرَّ بكَ نعيمٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتى بأشدِّ الناس بُؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغةً في الجنة، فيقال له: يا بن آدم، هل رأيت بؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بك شدَّة قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مرَّ بي بُؤس قطُّ، ولا رأيتُ شِدَّةً قَطُّ))؛ مسلم (في صفة القيامة).

وعلى الإنسان منا فقط أن يلتمس البداية الصحيحة، وقطعًا سوف يصل لمأربه من شوق للطاعة وزُهْد في المعصية، ورضا وقناعة بما كان، وما سيكون، والله المستعان، وعليه التُّكلان، والحمد لله ربِّ العالمين على كل حالٍ.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/130903/#ixzz5h0x1qJ3N

٤

إن الله يحب المحسنين

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي لا إله سواه، حمدًا يُوافي نِعَم الله علينا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد :
أخي الحبيب، قد يظلمك إنسان لا يتقي الله فيك أو يعتدي عليك أو يضُرُّك، ثم أنت مع ذلك لا تظلمه ولا تغتابه؛ وإنما تعذره وتدعو له، فهذا منك إحسان يُجازيك الله عليه خيرًا.

•قد تُسيء إليكَ زوجتُك بكلمة أو فعل؛ ولكنك تصبر وتأبى الرد؛ لأنها زوجتك وأُمُّ أولادك، وتقول لنفسك الأمّارة بالسوء: لعلّها غاضبة مني لسبب ما، ولعلّني أخطأتُ في حقِّها، فلا تغضب ولا تضرب ولا تهجر؛ وإنما تعاملها بالمودّة والرحمة رغم كل ذلك، فهذا إحسان يجازيك الله عنه خيرًا، والإنسان عمومًا لا تخلو حياته من الهموم والغموم، ومن المشاكل مع خلق الله تعالى، ويتعامل معهم بما يرضي الله عنه، لا يسألهم أجرًا إلَّا رضا ربِّه، فهذا إنسان يعرف حقيقة العبودية لله في الإحسان، فما هو الإحسان؟ ومتى يكون مقبولًا أو مرفوضًا؟

الإحسان معناه في اللغة :إتقان الشيء وإتمامه، وهو مأخوذ من الحُسْن، وهو الجَمَال، وضد القبح، وهو في الشرع، كما قال النبي في حديث جبريل الذي أخرجه مسلم من طريق عمر بن الخطاب، وأخرجه البخاري عن طريق أبي هريرة رضي الله عنهما، عرف النبي الإحسان بكلمات جامعة راقية "مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))،ولنسمع قول الله عز وجل :(وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) -البقرة: ١٩٥-، وقال تعالى :(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) -الرحمن: ٦٠-.

وكن أخي الحبيب على يقين إن أنت أحسنتَ مع الناس أحسَنَ الناس إليك؛ لأن الجزاء من جنس العمل، واسمَع هذه القصة اللطيفةالتي ذكرَها بعض أهل الفضل:
*يذكر أن رجلًا نزل هو وولده واديًا، انشغل الرجل بعمله، وأخذ الولد

الصغير يلهو بكلمات وأصوات، فُوجئ الولد أن لهذه الأصوات صدًى يعود إليه، فظنَّ أن هناك من يُكلِّمه أو يرد عليه، فقال: من أنت؟ فعاد الصدى: من أنت؟ قال الولد: أفصح لي عن شخصك؟ فردَّ عليه :أفصح لي عن شخصك؟

فقال الولد غاضبًا :أنت رجل جبان وتخفى عني، فرجعت إليه العبارة نفسها، فقال الولد: إن صاحب الصوت يستهزئ بي ويسخَر مني، فانفعل وخرج عن طوره، وبدأ يسبُّ ويلعن، وكلَّما سبَّ أو لعن رجَعت عليه مثلها، جاء الوالد ووجد ولده منهارًا مضطربًا، فسأله عن السبب، فأخبره الخبر، فقال له: هوّن عليك يا بني، وأراد أن يُعلِّمه درسًا عمليًّا، فصاح بأعلى صوته: أنت رجل طيّب، فرجع إليه الصوت: أنت رجل طيب، ثم قال: أحسن الله إليك، فكان الردُّ: أحسن الله إليك، وكلَّما قال كلامًا حسنًا كان الرد بمثله، سأل الولد والده بدهشة واستغراب: لماذا يتعامل معك بطريقة مؤدَّبة، ولا يُسمعك إلَّا كلامًا حسنًا؟! فقال له الأب: يا بني، هذا الصوت الذي سمعته هو صدى عملك، فلو أحسنتَ المنطِق لأحسن الردَّ؛ ولكنَّك أسأت فكذلك.

أحبَّتي في الله، الإحسان صفة نبيلة، وخصلة جليلة، يحبُّها الله، ويحبُّ أهلها، إذا أحسن المسلم إلى الآخرين في هذه الدنيا، كانت النتيجة إحسانَ الله إليه في الدنيا والآخرة، وحبَّبَ إليه خلقه، ولا ريب عند العقلاء أن أول المستفيدين من الإحسان هم المحسنون أنفسهم، يجنون ثمراته في نفوسهم وأخلاقهم وضمائرهم؛ فيجدون الانشراح والسكينة والطُّمَأنينة والراحة التي لا يحدُّها حدٌّ.

جرّب أخي الحبيب ولن تخسر شيئًا، فإن كنت مهمومًا أو تشعُر بالإحباط من مشاكل البيت والأولاد أو العمل، أو جار سيئ أو مرض أو غير ذلك، فجرّب الإحسان.

أعطِ محرومًا ما يُسعده أو تصدّق على مسكين بما يُعينه أو عُدْ مريضًا لتُخفّف عنه، أو انصُر مظلومًا ورُدَّ الحق لأهله، أو غير ذلك من أعمال الخير والإحسان، وأنت على يقين أن الله يراك، فأخلص النية والعبودية له جلَّ في عُلاه، والله الذي لا إله إلا هو، ليجعل لك الله تعالى من كل

همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ويرزقك من حيث لا تحتسب، فالجزاء من جنس العمل، هذه سُنَّة في خلقه وأبدًا (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) -فاطر: ٤٣-.

♦واسمَع هذا الحديث الجميل الذي يزيد نشاطك لثمرات الإحسان وعمل الخير، ولو كان الإحسان لأهلك وأولادك، فلكل عمل أجر، والحديث في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُها ثَلاثَ تَمَراتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدةٍ مِنْهُما تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ((إنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنْ النَّار."((

هذا هو ثواب الإحسان حتى على الأهل، فماذا ننتظر، اللهم اجعلنا من المحسنين وتقبّل منا يا رب العالمين.

أخي الحبيب، اعلم أن للإحسان المقبول عند الله تعالى شروطًا، ومن أهم الشروط شرطان لعدم إحباط العمل وضياع ثواب إحسانك، وهما.
- 1إخلاص النية لله.
- 2أن يكون العمل موافقًا للشرع، ولا يكون مُحرَّمًا في نفسه بمعنى أن يكون كما قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم.

ونقولها مرارًا وتكرارًا :العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعفيك الله منهم.

وتذكروا دومًا أن الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

أما الشرط الثاني فيحتاج إلى بيان، فما معنى أن يكون موافقًا للشرع، وأن يكون مباحًا غير محرَّم في نفسه؟
أنت مثلًا عندما يسألك سائلٌ كوبَ ماء، أو ضيف عندك تعطيه كوب مياه غازية أو عصيرًا، فهذا كله لا شيء فيه، ومن كرم الضيافة، والمسلم

كريم مضياف، والنبي صلى الله عليه وسلم قال - كما جاء في البخاري عن أبي هريرة -: ((وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))، فإكرام الضيف ومساعدته وتلبية طلبه موافق للشرع، أما لو كان الرجل المضيف أو الضيف ما يشربه خمر بدل الماء صار محرَّمًا رغم أن الكرم موافق للشرع، فهذا الإحسان لا يقبله الله، وهذا مقصودي من إحباط العمل.

♦مثال آخر: احتفال الناس بعادة - أو قل بدعة ما أنزل الله بها من سلطان - كعيد الحب على سبيل المثال، وهو بدعة فلم يأمر النبي بالاحتفال به، بل قال: ((مَنْ أحدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ))؛ مسلم.

لكن الحب على إطلاقه بلا قيودٍ موافق للشرع، فأنت تحبُّ النبي وهو القائل في مسلم من حديث أنس: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))، وكذلك حب الزوجة وحب الأولاد، وحب النجاح، وحب التفوُّق، وغير ذلك من الحب مباح شرعًا؛ ولكن إن كان محرَّمًا وغير جائز؛ كالحب الذي يتحدثون عنه في الأفلام والقصص، ويخلو فيها الرجل بالمرأة الأجنبية، فهذا لا شك في تحريمه، وقِس على ذلك كل عمل لا بد أن يُوافق الشرع، وأن يكون جائزًا وغير محرَّم في نفسه.

وبعد:
خلاصة ما سبق آنفًا أن الإحسان معناه أن يبتغي كل واحد منا رضا الله بالعمل بما أمره به في عبادته وتوحيده، والبعد عمَّا نهاه عنه، وكل إنسان له مقام عند الله، وقد تقول: وما مقامي عند الله، وهذا صعب، فكيف ندري؟
ولكن قيل: إن أردت أن تعرف مقامَكَ عند الله، فانظر فيما أقامَكَ.

واعلم أنك العبد الفقير، وهو الرب الغني، وجميعًا نفتقر إلى رحمته وعدله وكرمه، والله سبحانه وتعالى من إحسانه علينا أنعَم علينا بنعمٍ لا تُحصى؛ كنعمة الإيمان والإسلام، ونعمة العقل والسمع والكلام،

ونعمة الزوجة الصالحة والأبناء البررة، ونعمة المال، ونعمة الصحة والعافية، وغير ذلك كثير، فما هو المقابل منا لله تعالى؟

هل أنت عاجز عن الصلاة، عاجز عن الصدقة، عاجز عن إخلاص التوحيد والنية لله بلا شوائب شركية؟

والحاصل :أن الكثير منا لا يحسن شكر الله على نعمه، والكثير يشتكي لماذا يا رب تبتليني بكذا وكذا؟ لماذا هذا الفقر؟ لماذا ولماذا؟!

وتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك، تشكو ربك للعبد الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضُرًّا، فأين شكر الله على نعمه التي لا تحصى ولا تُعَدُّ؟

قال بعض الأفاضل: إننا ننسى أن نشكر الله تعالى؛ لأننا لا نتأمَّل في البركات، ولا نحسب ما لدينا؛ ولأننا نرى المتاعب فنتذمَّر، ولا نرى البركات.

وها هو الحسن البصري يقرأ هذه الآية :(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) -النحل: ٩٠- الآية، ثم وقف فقال: إن الله جمع لكم الخير كله والشرَّ كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئًا من طاعة الله عز وجل إلَّا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئًا، إلَّا جمعه.

وبعدُ، ليعرف كلُّ واحد منا الله في الرخاء، ليَعرفه في الشدة، ولنداوم على عبادته وطاعته في الصحة والعافية، ليعيننا في مرضنا وعجزنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
فأكثروا من ذكره بلسانكم والشكر له من قلوبكم، ولن تجدوا إلَّا المزيد من النِّعَم، ولن ترضوا إلا بالقناعة، والله المستعان وعليه التُّكلان.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/130925/#ixzz5h0x8gISR

٥
الدواء الشافي لكل داء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي النبي الأمين، صلى الله عليه وسلم. وبعد:

إلى من يريد التقرب من الله تعالى بقلبه وعقله وجوارحه.
إلى من يبحث عن المحبة والسعادة في حياته دون نفاق أو رياء.
إلى من يشتاق لراحة البال وسكينة النفس في دنياه الفانية.
إلى من أصابته الأحزان والأشجان والهموم.
إن علاج كل هذه الأمراض القلبية وغيرها، ليس في الصيدليات ولا بيدِ الأطباء، وليس لها دواء بشري على الإطلاق، بل كل مرض رُوحي في القلب دواؤه وعلاجه عند رب القلوب سبحانه وتعالى، رب الأرض والسماء، وهو القائل :(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) -الملك: ١٤-.

والنفس البشرية تطمئنُّ إلى ما يطمئنُّ إليه القلب، والقلب يطمئن بذِكْر الله؛ كما قال تعالى :(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) -الرعد: ٢٨-.

هذا هو الدواء لكل داء، إنه دواء رباني لمن عقَل ووعَى، فلا راحة للقلب ولا طُمأنينة إلا بذكره وشكره.

ولا ريب أن النفس البشرية لا تشعر بالراحة والسكينة والطمأنينة التي تفتقدها في دنيا الناس، إلا لضَعف إيمانها وعدم قربها من خالقها ورازقها الذي بيده الأسباب والمسببات، ومَن يعرف الله ويقترب منه، ولا يفتر لسانُه عن ذكره وشكره في النعمة والبلية، في حزنه وسعادته، في صحته ومرضه، في ذهابه وإيابه، ودومًا على لسانه: "يا رب، يا رب"، ما أعظمها من كلمة! وما أعظَم تأثيرَها على قلوب شياطين الأنس والجن، والعبد يقولها لمن يظلمه ويَجحده حقَّه مهما كانت قوتُه وماله، أوحسبه ونسبُه، أو بمركزه الاجتماعي وعلمه، أو شِركه وكفره، الكل في الظلم سواء.

والكل عبيده وهو الحق المبين لا يضيع حقوق عباده المخلصين، ولن ينسى مَن ذكَره ونداه في كل وقت وحين.
(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) -الحشر: ٢٣، ٢٤-.

فلا تنسوا وصية نبيكم الذي كان يقول: "اللهُمَّ أعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"؛ صححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٦٨٨.

فهلمُّوا أحبتي نتشبَّع من هذا الدواء الرباني، ونُكثر من ذكر الله، ولا تفتر ألسنتنا دومًا عن ذكره، وتذكَّروا أن الذكر له من الفوائد العظيمة في صَلاح النَّفس والقلب معًا، فضلًا عن جلاء الأحزان والهموم، وفي الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خيرٍ منهم"؛ أخرجه البخاري ومسلم.

هلموا...

تسلَّحُوا في دنياكم الفانية بما يُعينكم على المضي قدمًا إلى أن يَقضي الله أمرًا كان مفعولًا، أكثروا من الأذكار المختلفة في ذهابكم وإيابكم "في الصباح والمساء"، لا تغفلوا عن ذكر الله ولا تَفتر ألسنتكم عن التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل، فإن ذلك من علامات حياة القلوب؛ لأن القلب الذي لا يذكر الله قلبٌ ميت؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: "مثل الذي يذكر ربَّه والذي لا يذكر، مثلُ الحي والميت"؛ أخرجه البخاري (١١/ح ٦٤٠٧/ فتح).

واعلموا أنَّ الذَّاكر لله تعالى قريبٌ من ربِّه، والقريب من الله في جَناب رَحْمته وكرَمِه، تَستغفر له ملائكتُه، وتَسْمُو نفْسُه بِقُربِها من الله تعالى، ولا شك أن السعيد من يكون قريبًا من الله تعالى، والشقي هو البعيد عنه جل وعلا؛ قال النوويُّ في كتابه "الأذكار" (١/ ص ١٠) ما مُختصَرُه:

"الذِّكر يكون بالقلب، ويكون باللِّسان، والأفضل منه ما كان بالقَلْب واللِّسان جميعًا، فإنِ اقتصر على أحدِهِما، فالقلب أفضل، ثُمَّ لا ينبغي أن يترك الذِّكر باللِّسان مع القلب؛ خوفًا من أن يُظَنَّ به الرِّياء، بل يَذْكر بهما جميعًا، ويقصد به وَجْه الله تعالى."

وقال ابن القيّم رحمه الله تعالى في "الوابل الصَّيِّب من الكَلِم الطيّب"، (١/ ص٥٦) عن فوائد الذِّكر ما مُختصَرُه:
"ولا ريب أنَّ القلب يَصْدأ كما يصدأ النحاس والفِضة وغيرهما، وجِلاؤه بالذِّكر، فإنه يَجْلوه حتى يَدَعَه كالمِرْآة البيضاء، فإذا ترك صَدِئ، فإذا ذكَر جلاه.

مَن كانت الغفلةُ أغلبَ أوقاته، كان الصَّدأ مُتَراكبًا على قلبه، وصدَؤُه بحسب غفلته، وإذا صَدِئ القلب لم تَنْطبع فيه صُوَر المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحقّ، والحقَّ في صورة الباطل؛ لأنَّه لَمَّا تراكَم عليه الصَّدَأ، أظْلَمَ فلم تَظْهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه، فإذا تراكم عليه الصدأ واسودَّ ورَكِبه الرَّان، فسَد تصَوُّره وإدراكه، فلا يَقْبل حقًّا ولا يُنْكِر باطلًا، وهذا أعظم عقوبات القلب، وأصل ذلك من الغفلة واتِّباع الْهَوى؛ فإنهما يَطْمِسان نور القلب ويعْمِيان بصَره؛ قال تعالى :(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) -الكهف: ٢٨-.

فإذا أراد العبد أن يَقْتدي برجل فَلْينظر: هل هو من أهل الذِّكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكِمُ عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة، وأمره فرط، لم يقتد به، ولم يتبعه، فإنه يقوده إلى الهلاك.

ثم ذكر رَحِمَه الله تعالى عشرات من فوائد ذِكْر الله تعالى، والتي فيها صلاحُ القلوب والنُّفوس، نَذْكر بعضها هنا، والله المستعان:
1-أنَّه يَطْرد الشَّيطان ويقمعه ويكسره.
2-أنه يُرْضي الرحمن عزَّ وجلَّ.
3-أنه يزيل الهم والغم عن القلب.
4-أنه يَجْلب الرِّزق.

-5أنه يكسو الذَّاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

-6أنه يورثه المَحبَّة التي هي رُوح الإسلام وقُطْب رحَى الدِّين، ومدار السعادة والنَّجاة، وقد جعل اللّه لكلِّ شيء سببًا، وجعل سبب المَحبَّة دوام الذِّكر، فمن أراد أن يَنال مَحبَّة اللّه عزَّ وجلَّ، فلْيَلْهَج بذِكْره؛ فإنه الدَّرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذِّكْر باب المَحبَّة وشارعها الأعظم وصِرَاطها الأقوم.

-7أنَّه يورثه المراقبة حتى يُدْخِله في باب الإحسان، فيَعْبد اللّه كأنَّه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذِّكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

-8أنه يورثه الإنَابة، وهي الرُّجوع إلى اللّه عزَّ وجلَّ، فمتَى أكثر الرُّجوع إليه بِذِكْره، أورَثَه ذلك رجوعَه بقلبه إليه في كلِّ أحواله، فيَبْقى اللّه عزَّ وجلَّ مَفْزَعَه ومَلجَأه، ومَلاذَه ومَعاذَه، وقِبْلَة قلْبِه، ومَهْرَبه عند النوازل والبلايا.

-9أنَّه يورثه الهيبة لربِّه عزَّ وجلَّ وإجلالَه؛ لشدَّة استيلائه على قلبه، وحضوره مع اللّه تعالى، بخلاف الغافل، فإنَّ حجاب الهيبة رقيقٌ في قلبه.

-10أنَّه يورثه ذِكْرَ اللّه تعالى له؛ كما قال تعالى :(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) - البقرة: ١٥٢-.
ولو لم يكن في الذِّكر إلا هذه وحدها، لكَفى بها فضلًا وشرفًا، وقال صلَّى اللّه عليه وسلم فيما يَرْوِي عن رَبِّه تبارك وتعالى: ((مَن ذكَرَني في نفْسِه، ذكرتُه في نفسي، ومن ذكَرني في مَلأ ذكَرْتُه في ملأ خيرٍ منهم.((

وبعد :
أن ما نعانيه من بلاء وهموم وغير ذلك في دنيانا الفانية، بسبب وجود خلل في صدق الإيمان في القلب ونفاق ظاهر فيه! وهذا الخلل يؤدي إلى التناقض في شخصية المسلم بين دينه ودنياه، بين حبه لله

ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبين التطبيق العملي للوحيين في حياته الدنيوية.

وبناءً على ما سبق من بيان عظمة الذكر، وأنه دواء فعَّال وعلاج لكل داء، فإن أراد العبد أن يستقيم قلبه وينصلح حالُه، ويذهب همُّه وغمُّه، فعليه أن يبدأ في محاسبة النفس وترويضها على كثرة الذكر، وبالتبعة على الاستقامة، وكفى؛ بقول الله تعالى عن بركة الذكر كمسكٍ للختام، ما جاء في كتابه الكريم :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) -الأحزاب: ٤١-.

وقال تعالى :(وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) -الأعراف: ٢٠٥-، والآيات في ذلك كثيرة وفي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك، وكما قلت في بداية مقالتي تلك: هذا هو الدواء لكل داء، إنه دواء رباني لمن عقَل ووعَى، فلا راحة للقلب ولا طمأنينة إلا بذكره وشكره.

وقد أفلح مَن تداوى به دومًا، وهنيئًا له قوله تعالى إن تقبَّل منه ورضِي عنه :(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) -الأحزاب: ٣٥-.

والحمد لله رب العالمين، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/131029/#ixzz5h0xEwz00

٦
قوامة الرجل بين الهوى والشرع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي الكريم وبعد:
قِوام الشيء هو عِماده ونظامه، والقِوامة هي القيام على الأمر، والقوامة الزوجية: هي ولاية يفوَّض بها الزوج للقيام على مصالح زوجته بالتدبير والصيانة والإنفاق، وغير ذلك.

ولم تكن قوامة الرجل على زوجته في القرآن تشريفًا له فقط، بل تكليفًا يحاسب عليه أمام الله لو فرَّط فيها؛ يقول تعالى :(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) - النساء: ٣٤-.

قال السعدي في بيانها: يخبر تعالى أن الرِّجَال (قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ)؛ أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفِّهنَّ عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهنَّ بذلك، وقوامون عليهن أيضًا بالإنفاق عليهن، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء، فقال :(بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)؛ أي: بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة؛ من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات، وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله، وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات، بل كثير من النفقات يختص بها الرجال، ويتميزون عن النساء.

ولعل هذا سر قوله :(وَبِمَا أَنْفَقُوا)، وحذف المفعول؛ ليدل على عموم النفقة، فعُلِم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به؛ ا.هـ؛ "تفسير السعدي ص/١٧١".

ولا ريب عند العقلاء أن القوامة ليست على إطلاقها دون أن يحدَّها حدٌّ، كما يفهم في بعض المجتمعات أسيرة العادات المتوارثة.

بل هي قوامة أساسها قائم بين الزوج وزوجه على المودة والرحمة، وبين ربِّ البيت مع أبنائه بالرحمة والعدل والإحسان، وليس على هواه، فيبطش ويضرب، ويمنع ويسيطر، ويستغل قوته الجسدية والعقلية، وتأثيره كربِّ البيت - في الباطل والظلم عمن استرعاهم، ويَنسى قول نبيه صلي الله عليه وسلم: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»؛ متفق عليه.

فقوامة الرجل يظنها بعض أشباه الرجال أنها تشريفٌ له، وأنه" سي السيد "الذي يُسمَع له ويطاع في بيته، ويتحكم فيه، وفي المقيمين معه وتحت رعايته من زوجة وأولاد كيفما شاء، دون أن يراعي شرع الله وأحكامه، وليس الأمر كذلك قطعًا، فالقوامة مسؤولية وتكليف لا يقدر عليها إلا الرجل الحقيقي، وإن كان ضعيف البنية فقيرَ المال، فالعبرة بالرجولة والمسؤولية، وليست بالسيطرة والقوة الجسدية.

ومن خبرتنا وتجاربنا مع الأزواج، وجدنا العجب العجاب، وسأذكر هنا مثالًا على فَهْم بعض الرجال للقوامة على أهله؛ ظنًّا منهم أنها تشريف وليست تكليفًا.

ففي دنيا الناس حدث، أخبرتني زوجة تشتكي من زوجها الذي أصابها بحالة نفسية سيئة، فتقول: إن زوجها يرفض العمل والإنفاق على البيت، ويطلب منها هي أن تعمل؛ لأن عمله موسمي ويتكاسل عن عمل آخر، ويجلس في بيته كـ"سي السيد" سيطرةً وضربًا وسبًّا لها ولأولادها، ولا تدري ماذا تفعل لإقناعه بقوامته ومسؤوليته!

ومن العجيب أن مثل هذا الرجل وغيره من الأزواج، يظن القِوامة حق له على الزوجة، في حين أن معنى القِوامة في اللغة يشير أن الزوجة ومسؤولية رعايتها، والقيام على مصالحها والإنفاق عليها، مسؤولية الزوج قطعًا؛ أي: إن القوامة حق للزوجة على زوجها وليس العكس.

ومع ذلك نرى ونسمع عن العنف الأسري في دنيا الناس من الرجال تجاه زوجاتهم - ما يدل على تفشي الجهل والهوى على الشرع وتعاليم الدين السمحة.

وإن القلب ليحزن لما أصاب أزواج هذا الزمن من خشونة وغلظة مع شريكة عمره وأم أولاده، وليس في ديننا أو شريعتنا ما يبرِّر تصرفات الزوج المسلم مع زوجته، ونبينا صلى الله عليه وسلم، يوصينا بهنَّ خيرًا، فيقول: "خيرُكم خيرُكم لأَهلِه، وأنا خيرُكُم لأَهلي، ما أكرمَ النِّساءَ إلَّا كريمٌ، ولا أهانَهُنَّ إلا لئيمٌ»؛ صحيح الجامع الصغير، رقم/ ٤١٠٢.

ولكن بعض الأزواج لا يفهم هذا فهو يسب، وربما يضرب شريكة عمره، وهو بالتأكيد ليس جاهلًا بأن سب المسلم وإهانته وضربه حرام، بل هو من كبائر الذنوب؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"؛ متفق عليه.

ويزداد الإثم إذا وقع السب للزوجة لما لها من حق على الزوج، ولما جاء في القرآن والسنة من الأمر بمعاشرتها بالمعروف والإحسان إليها، وليعلم هذا الزوج وغيره أن الإسلام ما جاء إلا بإعزاز المرأة وإكرامها، وجعلها ملكة في بيتها، وجعل لها حقوقًا في جميع أطوار حياتها أمًّا وزوجةً، وأختًا وابنة.

-وقد أوصى النبي بها خيرًا، فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمرًا فليتكلم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء، فإن المرأة خُلقت من ضِلَعٍ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تُقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوجَ، استوصوا بالنساء خيرًا."

ثم أين مثل هذا الزوج الذي يظن القوامة تشريفًا من السعي من أجل زوجته وأولاده.

ودينا دين يحث على العمل والسعي، وكيف لا والله تعالى يقول في كتابه الكريم:
(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) -الملك: ١٥-، ومعنى :(فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا)؛ أي: السعي لطلب الرزق والمكاسب.

ونبينا صلى الله عليه وسلم قال" :الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"؛ رواه مسلم.

وربِّ الكعبة نقولها واضحة، ونصدع بها من خلال خبرتنا في دنيا الناس، لو قصر الرجل كزوج أو المرأة كزوجة في مسؤوليتهما الفطرية، فقد أصاب المنظومةَ الحياتية بين الزوجين الخللُ، وفسدت العلاقة بينهما حتمًا، ولو جلس الرجل في البيت لرعاية الأولاد والطبخ وغير ذلك - بما هو عليه من قوةٍ وخشونة - فلن يستطيع التوفيق بين مهامه في البيت، وبين ما فطره الله عليه، ولو أن المرأة خرجت للعمل بدلًا عنه، وما في ذلك من فتنة وهتك للستر والحياء، مع ما فطرها الله من عاطفة وضَعفٍ، لفسدت منظومة المجتمع أيضًا؛ لأن المرأة لم تخلق للعمل والمشقة والاختلاط، والتنافس مع الرجال في الصالح والطالح كما لا يخفى.

وعندما يطلب الرجل من زوجته القيام بوظيفته ومسؤوليته في الإنفاق دون عذرٍ يُبيح له ذلك، ويكون مقبولًا شرعًا، فهل يفلح هو في مهامها ووظيفتها قطعًا لا!

ومثل هذا الزوج يفتقد حتمًا للرجولة التي تعينه على مشاق الحياة، خصوصًا في عصرنا هذا، وقد علمتني خبرتي في حل المشاكل الزوجية خلال رحلتي في الدعوة التي تجاوزت الثلاثين عامًا - أن هناك أسبابًا كثيرة تجعل الرجل يقدم على هذا السلوك، ويستغل قوامته استغلالًا سيئًا بالهوى لا بالشرع، وما يُسببه ذلك من مشاكل جمة فيما يُعرف

بالعنف الأسري تجاه زوجته وأولاده، ولا ريب أن كل زوج ولو بدا لنا سيئًا، ففي قلبه وعقله الباطن لا ريب خيرًا، فهي غشاوة تعمي القلب عن رؤية الحق، فلو عمِل بالشرع وفَهِمَ حقيقة القوامة، لكان أحرصَ الناس على مَن أحب، ورَضِيَ به شريكًا لعُمره، ومن أهم الأسباب من وجهة نظري على سبيل المثال:

1-العادات والمفاهيم الخاطئة المتعارف عليها بين العامة عن رجل البيت في المجتمعات المغلقة والمتعصبة لتقاليدها البعيدة عن الدين وتعاليمه السامية.

والخروج عنها يزيد من الجرح بين الزوجين وعائلتهما؛ لتحكم التقاليد المتوارثة، وتفضيلها على الدين وشريعته، ولا يخفى أن ذلك من الهوى الذي يصد عن الحق، وهؤلاء ينطبق عليهم قوله تعالى :(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) -البقرة: ١٧٠-.

2- المفاهيم الخاطئة عن الزواج، فبعض الرجال يظن أنه طالّما تزوج، فإن زوجته ملك له، وطاعتها له واجبة في الصالح والطالح، مع أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والطاعة في المعروف، ويظن بعض الرجال أن الزواج يعني شراء الزوجة؛ لتقوم في طهي الطعام، وتنظيف البيت، وإشباع رغباته الجسدية، وتربية الأبناء وخلافه طالما يُنفق عليها، وهي نظرة خاطئة للزواج الذي يقوم على المودة والرحمة؛ كما قال تعالى :(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) - الروم: ٢١-.

وكذلك المشاركة في القرارات المصيرية والتفاهم بينهما، أمرٌ حتمي لاستقرار الحياة الزوجية، وكل منهما له حقوق وعليه واجبات كما لا يخفى.

3 -من الأسباب عدم التكافل بين الزوج وزوجه عند الزواج في العلم أو المال، أو الحسب أو النسب، والمركز الاجتماعي، فمثل هذه المسائل والفوارق تدفع بعض الأزواج إلى التعالي على شريكة عمره إن كانت

أقلّ منه، أو شعوره هو وإحساسه بالدونية، لو كانت الزوجة هي من تفوقه في المكانة، ويّدفعه الإحساس بالنقص إلى محاولات فرض رأيه وكلمته بالقوة، مع أن ديننا يوصي بهن خيرًا، فيقول تعالى :(وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) -البقرة: ٢٣٧-.
وربما يتلفظ ويهدِّد بالطلاق بمناسبة وغير مناسبة من باب أنه سي السيد وأمره مُطاع!

-4كذلك هناك سبب آخر لهذا العنف يتمثل في الحالة النفسية للزوج وطفولته؛ كما يقول أهل الطب النفسي، فربما نشأ هذا الزوج في أسرة شاهد فيها والده يمارس نفس هذا السلوك العنيف مع والدته فترسَّب ذلك في عقله الباطن، وصار عقدة نفسية تجاه الجنس الآخر عمومًا، والدراسات أثبتت أن الإنسان يتبع دائمًا نموذجًا معينًا في حياته، يكون عادة الأب هو الأكثر تأثيرًا على نفسيته.

وهذه الأسباب وغيرها جدير بالزوج المحب لزوجته الساعي لاستقرار حياته الزوجية مع شريكة عمره وأم أولاده - أن يبادر في علاجها، ويدرك أن القوامة مسؤولية وتكليف، وليست تشريفًا فقط، وعلى الزوجة الذكية المحبة لشريك عمرها مساعدته وإعانته، والقيام بدورها بصبر وحكمة، وعلاجها معه، وستكون جديرة باحترامه وحبه، ولو بعد حين، ولها ثواب ذلك عند رب العالمين.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/social/0/131366/#ixzz5h0xLvhfb

٧
الإحسان إلى النصارى في عيدهم بين الحق والتضليل

الحمد لله رب العالمين وكفى، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:
هذا بيان للمسلمين حول أقوال من فرّطوا، بحُسن نيةٍ أو بقصدٍ، فقالوا: إن تهنئة النصارى في أعيادهم الدينية وليست الدنيوية تجوز، وإن في مشاركتهم فيما يسمى بعيد مولد المسيح عليه السلام، أو ما يُسمى عندهم بعيد الكريسماس، نوع من الإحسان.

وسنرد على هذه الشبهة بالأدلة، ونُبين حقيقة الإحسان المقصود بالأدلة الشرعية، ولكن قبل ذلك؛ ليدرك المسلمون أنه ما من نبي أو رسول إلا قال على لسانه كما يخبرنا القرآن :(يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) -الأعراف: ٥٩-، والقرآن صريح بكفر النصارى لشركهم وضلالهم في آيات كثيرة؛ منها: قوله تعالى :(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) -المائدة: ١٧-، وقوله تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) -البينة: ٦-، وقوله تعالى :(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) -المائدة: ٧٣-، وقوله تعالى :(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ *اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) -التوبة: ٣٠، ٣١-، وثبت عن النبي بما لا يدع مجالًا للشك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)؛ رواه مسلم في صحيحه.

وليس بعد قول الله ورسوله - وهو الحق - إلا الضلالُ؛ قال العلامة ابن العثيمين في شرح رياض الصالحين بعد أن ذكر الحديث (١ /٣٥٠):
ولذلك نحن نؤمن ونعتقد بأن جميع النصارى واليهود وغيرهم من الكفرة، كلهم من أصحاب النار؛ لأن هذه شهادة النبي عليه الصلاة

والسلام، والجنة حرام عليهم؛ لأنهم كفرة أعداء لله تعالى ولرُسله عليهم الصلاة والسلام، أعداء لإبراهيم، ولنوح، ولمحمد، ولموسى، ولعيسى، ولجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ انتهى.

حقيقة عيد الكريسماس:

إن مدخلنا في بيان أصل عيد الكريسماس لأهله، فهم أدرى بحقيقته التي لا يدركها عامة الناس منهم، أما نحن فتعلم أن التحريف والتبديل والضلال في دينهم ظاهرٌ عيانًا، وكفى بالقرآن شاهدًا لحقيقة دينهم وشركهم وضلالهم.

وذكر" هربرت أرمسترونج "في كتيب صغير الحجم كتبه، عدد صفحاته لا يتعدى خمس عشرة صفحة عنوانه) :الحقيقة المجردة عن عيد الميلاد(، والصادر عن كنيسة) جميع أنحاء العالم (الأمريكية، قال في الصفحة الثامنة منه ما نصه: إن كلمة "عيد الميلاد "لم ترد لا في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ولم تنقل عن الحواريين، وإنما تسربت إلى النصرانية من الوثنية؛ انتهى.

أما دائرة المعارف البريطانية، فهي تقول في طبعة ١٩٤٦م: "ولم يوجد - أي عيد الميلاد المزعوم - لا المسيح ولا الحواريون، ولا نص من الكتاب المقدس، بل أُخذ - فيما بعد - عن الوثنية"؛ انتهى.

ومن ثم فلا عجب أن الأنباء نقلت خبرًا أن البابا قال: الاحتفال بعيد الميلاد" جاهلية"، وأنه صورة زائفة تصور حكاية خرافية مائعة، لا وجود لها فى الإنجيل، على حد تعبيره، وإن ثبت عنه قول ذلك، فقد شهد شاهد من أهلها، وليت المبيحين يعقلون دينهم مثله فيما أباحوه للعامة من أعياد مبتدعة في الدين؛ كعيد الأم والحب، وغيرهما، مخالفين أمرَ نبيهم صلى الله عليه وسلم، ونهيه وتحذيره من البدع ومحدثات الأمور في دين الله تعالى الذي تم واكتمل بالقرآن والسنة، فقال تعالى :(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) -المائدة: ٣-.

فهل يعقل بعد ذلك أن يحتفل معهم المسلمون بهذا العيد، وهم يعتقدون أن الله قد وُلِد في هذا اليوم والعياذ بالله من هذا الكفر؟!
يقول ابن قيّم الجوزية رحمه الله: (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به، فحرام بالاتفاق، مثل: أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تَهْنَأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر، فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثمًا عند الله وأشد مقتًا من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام، ونحوه.

وكثير ممن لا قدر للدين عنده، يقع في ذلك ولا يدري قُبح ما فعل، فمن هنَّأ عبدًا بمعصية أو بدعة أو كفر، فقد تعرض لمقتِ الله وسخطه)؛ انظر: أحكام أهل الذمة: ١/٤٤١-٤٤٢.

فمشاركة النصارى أعيادَهم وتهنئتهم، إقرارٌ لهم بضلالهم وكفرهم، ومن صور الاحتفال التي يفعلها للأسف بعض المسلمين قليلي العلم والفقه في زمن الغربة وضياع الهوية، سواء بشكل مباشر، أو عن طريق وسائل النشر الحديثة؛ كالصحف والمجلات والتلفاز، ومواقع التواصل الاجتماعي، وأهمها الفيس بوك، وكذلك أجهزة الجوال، وغير ذلك، مع تبادل الهدايا، خصوصًا ما احتوى منها على رمزيات العيد الخاص بالنصاري؛ كمنظر لبابا نويل، أو شجرة الميلاد، فكل ذلك مشاركة لهم، وثبت النهي عن ذلك في حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"؛ رواه أبو داود، وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح؛ برقم (٣٤٠١).

الإحسان للنصارى في عيدهم وحقيقته:

أن أهم شبهات المبيحين لتهنئة النصارى في عيدهم ومشاركتهم، أن ذلك من الإحسان، وهي شبهة واهية، ونحن نرد على هذه الشبهة لإقناع من يريد الحق الصراح في هذه المسالة التي تتكرر كل عام، والرد على هذه الشبهة سهل ويسير.

♦فهل من العدل والإحسان أن نقول: إن لله وُلِد وهو يقول لنا في كتابه الكريم الذي لا يخلو منه بيت مسلم :(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *اللَّهُ الصَّمَدُ *لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) -الإخلاص: ١ - ٤-.

وهل من العدل والإحسان أن يقال عند بعضهم عيسى عليه السلام: رب، أو إله مع الله، حاشا لله، وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وقد ذكر القرآن براءة عيسى وأمه مما نُسِب إليهما، فقال تعالى :(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ *مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) -المائدة: ١١٦، ١١٧-.

ليت من يبيحون الإحسان في الدين يفرّقون بين المحبة الدنيوية والمحبة الإيمانية، ولا بأس من بيانها ليعقلها من هداه الله.

ونقول: ينبغي عند العقلاء عدم الخلط بين معاملتهم بالإحسان، وبين التودد إليهم على حساب عقيدتنا وديننا، فتكون معاملتهم بالخير في الدنيا، وقد نكتفي هنا بما أثبته الله تعالى من حبِّ النبي صلى الله عليه وسلم لعمِّه أبي طالب مع كفره، فقال تعالى :(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) -القصص: ٥٦-.

ولا يخفى أن تلك المحبة محبة (طبيعية) لقرابته، وكما أجاز الله نكاح الكتابية، وهذا لا ريب ينبت المحبة بين الزوجين؛ كما قال تعالى :(خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) -الروم: ٢١-، وسيأتي تفصيلها وبيانها.

فتلك المحبة الدنيوية وهي غريزية؛ كمحبة الطعام والشراب والملبس، وغير ذلك، وهي قد تكون إما لقرابة أو نسبٍ، أو مصاهرة، أو صلة

وإحسان؛ كما يقال، أو نحو ذلك، مع بقاء البراءة من دينه، وما فيه من شرك وكفر كما لا يخفى.

وحذَّر الله عباده المؤمنين من أن يقدموا هذه المحبة الطبيعية والأهواء النفسية - على المحبة الإيمانية، والأوامر الشرعية، فقال الله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) -التوبة: ٢٣، ٢٤-.

وبعد ما ذكرناه هل من العدل والإحسان القدح في دعوة نبينا وغيره من أنبياء الله ورسله الذين شرَّفهم الله تعالى واصطفاهم بالرسالة والنبوة، وكان جوهر دعوتهم توحيد الله في ربوبيته وألوهيته؛ كما قال تعالى :(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) -الأنبياء: ٢٥-؟.

وكذلك تضحيات الصحابة بالمال والأهل والنفس، وغير ذلك، وأتباع أنبياء الله ورسله في كل عصر ومصر على مرّ تاريخ وعصور البشرية لنشر التوحيد بين خلق الله وعباده.

ثم أين هؤلاء ممن يبيح الشرك والكفر ولو بالتهنئة أو المشاركة من قوله تعالى :(قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ *وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) -آل عمران: ٨٤، ٨٥-.

ليت المبيحين لتهنئة النصارى ومشاركتهم أعيادهم الدينية، يفهمون العدل والإحسان بما دلت عليه الشريعة الخاتمة، وليس بهوى النفس وبيع الدين بالدنيا.

إننا نفهم الإحسان بالرحمة والعطف على فقرائهم ومساكينهم، وعدم إهانتهم وتركهم على دينهم، وإن رفضوا الدعوة كبرًا وعلوًّا، فهم وشأنهم؛ لقوله تعالى :(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) -البقرة: ٢٥٦-.

♦ولنفهم العدل والإحسان في برهم لصلة رحمٍ؛ كبرِّ الوالدين لو ظلوا على الكفر والشرك؛ كما قال سبحانه :(وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) -لقمان: ١٥-.

وكما ثبت عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، عندما جاءتها أمها قيلة بنت الحارث من بني مخزوم - وقيل: قتيلة - وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: قدِمتْ عليَّ أمي وهي راغبة أفأصل أمي؟ ومعنى راغبة: يعني ترغب في الصلة، ولهذا سألت قالت: أفأصل أمي؟ قال: (نعم، صِلي أمك)؛ متفق عليه،وفي بعض الروايات: أنها قدمت ومعها هدايا من زبيب وسمن، ونحو هذا، فامتنعت ابنتها أسماء من إدخالها في بيتها، ومن قبول هديتها، خشية أن يكون ذلك من موالاة المشركين.

♦وكذلك نفهم العدل والإحسان بالزوجة إن كانت كتابية؛ لقوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) -الروم: ٢١-.

ولكن قطعًا لا يفهم من الآية أن المودة والرحمة بمشاركها أو تهنئتها بما هي عليه من ضلال وشرك، بل بإعانتها على فَهْم حقيقة التوحيد الخالص، وإقناعها بقوامته ومحبته وإحسانه، ورحمته معها بنفي الشريك والولد؛ لأن الحق كل الحق في التوحيد، وليس بعد الحق إلا الضلال.

ومن الإحسان والعدل والمحبة الدنيوية للزوجة الكتابية - أن يظل على المودة والرحمة معها، والرفق بها، ومعاشرتها بالمعروف والإنفاق عليها،

وكما لا يخفى الزوجة مأمورة بطاعته، وله الحق في منعها من إعلان المنكر في المنزل؛ كنصب التماثيل والصلبان، وكل مظاهر الشرك، فعبادتها مع نفسها حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا، ويضع الزوج المسلم دومًا - طالما أوقع نفسه في مسؤولية زوجة مشركة برضاه واختياره - نُصب عينيه قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) -التحريم: ٦-، ومسؤوليته أمام الله الذي خصه بالقوامة والإنفاق.

وجاء في المغني لابن قدامة رحمه الله (١/ ٢١ - عشرة النساء): وإن كانت الزوجة ذميَّة، فله منعها من الخروج إلى الكنيسة؛ لأن ذلك ليس بطاعة.

♦ومن العدل والإحسان والرحمة كما لا يخفى - ومنعًا للتطويل في المقالة - عيادتهم ومساعدتهم، بل البيع والشراء معهم، وقبول الهدية طالما لا يحرمها ديننا، وكل ذلك ثابت بالأدلة في السنة الصحيحة، وأقوال وأفعال نبينا الرحمة المهداة، وليس بحرام، خصوصًا إن كانوا ذوي رحمٍ وصلة، ومن النصارى المسالمين لنا، ولكن ينبغي التفريق بين المحبة الدنيوية والمحبة الإيمانية، فهو الدليل على صلابة المسلم وصدق توحيده لله تعالى، ولو كانوا من أقرب الناس إليه.

وقد قال تعالى :(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) -الممتحنة: ٨، ٩-.

ونكتفي بما ذكرنا، فإن كان صوابًا فمن الله وتوفيقه، وإن كان خطأً، فمن نفسي والشيطان، والله سبحانه ورسوله بريئان من ذلك، والحمد لله رب العالمين.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/131710/#ixzz5h0xTDgrd

٨
صداق الزوجة بين العرف والشرع

الحمد لله رب العالمين وكفى، والصلاة والسلام على من اصطفى، أما بعد:
فالصداق أو المهر هو ما ينبغي دَفعهُ للمرأة سواء كان مالًا أو شرطًا من شروط الزواج، يُعطى للمرأةِ لقوله تعالى :(وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) -النساء: ٤-.

قال السعدي رحمه الله في تفسيرها :ولما كان كثير من الناس يظلمون النساء ويهضمونهنَّ حقوقهنَّ، خصوصًا الصداق الذي يكون شيئًا كثيرًا، ودَفعة واحدة، يشق دفعُه للزوجة - أمرهم وحثهم على إيتاء النساء (صَدُقَاتِهِنَّ)؛ أي: مهورهنَّ، (نِحْلَةً)؛ أي: عن طيب نفس، وحال طمأنينة، فلا تمطلوهنَّ، أو تبخسوا منه شيئًا، وفيه: أن المهر يدفع إلى المرأة إذا كانت مكلفة، وأنها تملكه بالعقد؛ لأنه أضافه إليها، والإضافة تقتضي التمليك.

(فَإِنْ طِبْنَ لَكُم عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ)؛ أي: من الصداق (نَفْسًا) بأن سمحنَ لكم عن رضا واختيار بإسقاط شيء منه، أو تأخيره أو المعاوضة عنه، (فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)؛ أي: لا حرج عليكم في ذلك ولا تبعة.

وفيه دليل على أن للمرأة التصرف في مالها ولو بالتبرع إذا كانت رشيدة، فإن لم تكن كذلك، فليس لعطيَّتها حكمٌ، وأنه ليس لوليِّها من الصداق شيءٌ، غير ما طابت به؛ اهـ-1-

فالصداق مما سبق حقٌّ خالص للمرأة، لا يحل لاحد أن يأخذه إلا برضاها، والعرف عندنا في مجتمعنا المصري وغيره من المجتمعات جعلُ الصداق عبارة عن مقدَّم ومؤخر، والصواب أنه حق خالص للمرأة تستحقه بعد دخول الزوج بها أو خلوته معها خلوة صحيحة، وهو دَينٌ في عنقه!

وقد تعارف الناس بدفع مقدَّم بسيط، وتأخير الباقي لأحد الأجلين الموت أو الطلاق، ومن المعلوم أن المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا، وبناءً على ذلك قال أهل العلم: إذا لم يحدَّد أجلٌ معين لسداد مؤخر الصداق، فإن المطالبة به تكون عند الفرقة بطلاق أو نحوه، أو عند موت أحد الزوجين، فإن مات الزوج أولًا، حُقَّ للزوجة أن تأخذ من تركته مؤخَّر صداقها قبل إخراج وصيته، أو توزيع تركته على الورثة، ثم تأخذ نصيبها من التركة كاملًا، إن بقي شيءٌ فيها، وإن كانت الزوجة هي التي ماتت قبل زوجها، فلورثتها أن يأخذوا نصيبهم في مؤخر الصداق كغيره من أموالها، ويوزَّع عليهم بحسب نصيبهم في الميراث، بمن فيهم الزوج؛ انتهى.

ومن الظلم والجور أن يأخذ الزوج أو ورثته - إن مات - حقَّها في الصداق؛ لأنه صار أمرًا معروفًا بالدين بالضرورة؛ كما أن الله تعالى حذَّر وأنذر، فقال جل شأنه :(وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) -النساء: ٢٠-.

فالحاصل أن الصداق حق خالص للمرأة، ليس من أجل الاستمتاع بها كما يفهم البعض؛ لأن من المعلوم أنه ليس شرطًا أن يكون مالًا، ونعلم أن أم سليم رضي الله عنها كان صداقها من سيدنا طلحة شهادة التوحيد يقولها لها، ونعلم أن النبي عندما أراد رجلًا أن يتزوج مَن وهَبت نفسها للنبي، فأعرض عنها، فقام فقال للنبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: «زَوِّجْنِيهَا»، قَالَ: «أَعْطِهَا ثَوْبًا»، قَالَ: «لَا أَجِدُ»، قَالَ: «أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»، فَاعْتَلَّ لَهُ، فَقَالَ: «مَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟» قَالَ: «كَذَا وَكَذَا»، قَالَ: «فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»؛ متفق عليه .-2-.

فالحاصل أن الصداق تكريم للمرأة؛ لأنها هي المطلوبة لا الطالبة، وهي التي يسعى إليها الرجل، وليس العكس، وهذا فضل الله على النساء، وأكبر دليل على أنه تكريم للمرأة، وليس من أجل الاستمتاع بها - هو أن غير المدخول بها أن طُلقت فلها نصف المهر على الرغم من عدم الاستمتاع بها؛ كما قال تعالى :(وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي

بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) -البقرة: ٢٣٧-.

فإذا فهمنا هذا، فلتَعلم الزوجة كم المؤخر في وثيقة الزواج؛ لأنه من الشروط التي تستحل بها الفروج، وينبغي الالتزام بسداده لها مِن تركته قبل توزيعها، ولا يسقط إلا في حالة تنازلها عنه برضاها في حياته كله أو بعضه قبل الدخول أو بعده، ولا يجوز لها أن تطالب به بعد موته، والله عليها شهيد؛ قال تعالى :(وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا).

وقال العلامة ابن العثيمين رحمه الله: فإذا اشترط الرجل تأجيل الصداق أو بعضه، فلا بأس، ولكن يحل إن كان قد عيَّن له أجلًا معلومًا، فيحل بهذا الأجل.

وإن لم يؤجل، فيحل بالفرقة، بطلاق، أو فسخ، أو موت، ويكون دينًا على الزوج يطالب به بعد حلول أجله في الحياة وبعد الممات، كسائر الديون.-3-"..

وفي حالة عدم تسمية صداق لسبب من الأسباب ولم تتنازل عليه الزوجة في حياة زوجها أو بعضه برضاها، فلها مهر المثل؛ أي للقاضي أن يحدِّد لها مهرَ مثيلتها من النساء، فهذا حقُّها.

وأما مهر المثل، فكيف يحدَّد؟ قال أهل العلم: وبخصوص مهر المثل إذا حصل اتفاق عليه، فيرجع في تحديده عند بعض أهل العلم إلى مهر قريبات الزوجة من عصَبتها كالأخوات وبنات العم، وقال بعضهم: بل مهر نساء عشيرتها عمومًا، ولو كنَّ من غير العصبة كالخالات مثلًا دون سائر الأجنبيات، والبعض يقول: تحديده باعتبار مثلها في الدين والجمال والمال والحسب، وإن لم تكن من قريباتها؛ انتهى.

والأفضل أن يحدده القاضي الشرعي للالتزام به إن كان أهله لا يتفقون بالتراضي معها، ويبخسونها حقها في مهر مثيلتها من النساء، ويراعى

عدمُ المغالاة، وإن حدث اتفاق برضا الزوجة وأهله، فهو أفضل وأكرم لها.

نقطة أخيرة في مسألة مؤخر الصداق، وهي المؤخر الذي للمرأة عند زواجها منذ زمن بعيد، ولنقل منذ ثلاثين عامًا على سبيل المثال، وهو في زماننا هذا مبلغ زهيد فقَد قيمته وقوته الشرائية، فهل من الفقه والعدل أن يقدَّر بأسعار هذا الزمن، أم يرد كما هو؟

إن أهل العلم مختلفون في ردِّ مؤخر الصداق إن كان مالًا، أمَّا إن كان ذهبًا أو فضة، أو شيئًا يُكال ويوزَن، فيرد كما هو بلا خلاف. قال ابن قدامة رحمه الله: "وَيَجِبُ رَدُّ الْمِثْلِ فِي الْمَكِيلِ وَالْمَوْزُونِ، لَا نَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا"؛ انتهى .-4-

أما العملة إذا فقدت قيمتها، فالعلماء على ثلاثة أقوال، ومختلفون كما قلت:
الرأي الأول :وهو الذي عليه جمهور أهل العلم، يرى أن مؤخر الصداق يرد كغيره من الديون بصرف النظر عن زيادة قيمة العملة أو انخفاضها، ما دامت العملة - وهي الجنيه المصري، أو غيره – ما زال يتعامل به حتى وقتنا هذا.

ومما قال بذلك من أهل الفضل المعاصرين: الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين،، والشيخ علي السالوس، وغيرهم، وهو الذي قالت به اللجنة الدائمة في المملكة في فتاويها، قالوا: يجب على المقترض أن يدفع الجنيهات التي اقترضها وقت طلب صاحبها، ولا أثر لاختلاف القيمة الشرائية، زادت أو نقصت"؛ انتهى .-5-

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "إذا كانت الفلوس قد أُلغيت واستبدلت بعملة أخرى، فله أن يطالب بقيمتها في ذلك الوقت، أو بقيمتها حين أُلغيت، وأما إذا بقيت العملة على ما هي عليه، فليس للمُقرض إلا هذه العملة؛ سواء زادت أم نقصت"؛ انتهى .-6-
-والرأي الثاني ذهب إليه بعض أهل العلم الأفاضل، وقالوا: لو نقصت قيمة العملة لثُلُث قيمتها؛ لأن أكثر من ذلك كثير وفيه ظلم، وقالوا:

يُسدد المؤخر بسعر اليوم، ويكون ذلك بحساب قيمة الذهب سنة كتابة المؤخر وقيمته اليوم؛ لندرك الفرق بين القيمتين، ويرد على هذا الأساس، أو بحساب قوة العملة الشرائية للجنيه بين المدتين.

وممن ذهب إلى هذا الرأي الشيخ الألباني وغيره، وقال رحمه الله تعالى في دروس سلسلة الهدي شريط رقم (٣٨٥) بتصرف يسير: لو أنك أقرضتني مائة دينار قبل سنة، واليوم المائة دينار تساوي خمسين دينارًا، الخمسون دينارًا لا يشتري ما كنت أشتريه بالمائة دينار اليوم، من القمح والشعير واللبن والأشياء الضرورية من ضروريات الحياة، فضلًا عن غيرها، فلا يجوز لي أن أكون شكليًّا ظاهريًّا، فأوفيك مائة دينار، وأقول لك: يا أخي أنا هذا الذي اسْتَقرضتُه منك، وهذا هو أنقده لك نقدًا."

وأضاف رحمه الله: "وإنما يرد له الدينار بقوته الشرائية يوم استقرضه"؛ انتهى.

والرأي الثالث :وهو ما أميل إليه وأستريح له شخصيًّا، وهو الصلح بين الورثة - الزوجة وأولادها، وكل من له الحق في تركة الزوج - والتفاهم بينهم والرضا بتعويض هذا الفارق بالتراضي للزوجة، وهذا من أفضل الحلول التي تدل على العدل والرضا.

ولا يَخفى - بعد هذا البيان عن فقه مؤخر الصداق وحكمه - أن نقول: إن في تعجيل الصداق للزوجة براءة للذمة قبل انقضاء الأجَل، وأفضل للزوج اللهم إلا إذا سامحتْه الزوجة في حياته برضاها في كله أو بعضه فبها ونعمت.

وأمر آخر، وهو أن هذا الصداق دينٌ في عنق الزوج، ولكن لا يمنع من الصلاة على المسلم، والدليل حديث أُخرج في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدَّين، فيسأل: هل ترك لدينه فضلًا؟ فإن حدث أنه ترك لدينه وفاءً صلَّى، وإلا قال للمسلمين: صلُّوا على صاحبكم، فلما فتح

الله الفتوح قال: أنا أَولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفِّي من المؤمنين، فترك دينًا فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالًا فلورثته.-7- "

فالنبي لم يصلِّ عليه ليس لأنه يحرم الصلاة عليه أبدًا بالقطع لا يفعل، ولكن كما جاء في الحديث"، وإلا قال للمسلمين: صلوا على صاحبكم، فهو لم ينة عن الصلاة عليه من غيره، وسبب ذلك الحث على التخلص من الديون؛ كما ذكر ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث قال: قال العلماء: كأن الذي فعله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة على مَن عليه دين؛ ليحرّض الناس على قضاء الديون في حياتهم، والتوصل إلى البراءة منها؛ لئلا تفوتهم صلاةُ النبي صلى الله عليه وسلم؛ ا.هـ .-8-

هذا والله مِن وراء القصد وهو يهدي السبيل.

-1-انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ للسعدي، (ص/ ١٦٣)، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
-2-أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد برقم -5029 /باب: خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه.
" -3-مجموع فتاوى ورسائل العثيمين"، ١٨/ ٣١.
-4-انظر "المغني" لابن قدامة.(6/ 434)
-5-انظر "فتاوى اللجنة الدائمة" (١٤/ ١٤٦).
" -6-لقاء الباب المفتوح (٩/ ٧٢ (، بترقيم الشاملة آليًا.
-7-أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، برقم2298 /، باب من تكفَّل عن ميت دينًا، فليس له أن يرجع.
-8-انظر شرح صحيح البخاري لابن حجر (٣/ ٤٧٨)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، بتعليق ابن باز وترقيم عبدالباقي.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/social/0/132617/#ixzz5h0xZiffJ

٩
نشوز الزوجة على زوجها

الحمدُ لِله وكفَى، والصلاة والسلام على مَن اصطفى، وبعدُ:
نشوز الزوجة على الزوج له صور متعددة؛ منها :تقصيرها في مهامها من خدمته ونظافة داره ورعاية أولاده وتربيتهم، ومنها مخالفته وعدم طاعته في الخروج دون إذنه وإدخال مَن حذَّرها من دخول بيته لسوء خُلقه ولو كان من أهلها، ومنها امتناع الزوجة عن تلبية حاجة زوجها لحقِّه الشرعي دون عذر شرعي؛ كحيض، أو نفاس، أو مرض، فكل هذا وغيره نشوز ومعصية؛ لأن القوامة والطاعة للرجل بنص القرآن؛قال تعالى :(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) - النساء: ٣٤-،وقد بيَّنت الشريعة الإسلامية أسلوبَ تعامل الزوج مع زوجته الناشز، وهي على الترتيب في الآية الكريمة: يعظها أولًا، ويذكِّرها بالله تعالى وعقابه، وحُكم الخروج عن طاعة الزوج دون سببٍ شرعي، ثم إذا لم تستجبْ هجَرها في الفراش ثانيًا، فإذا لم تستجب لذلك لهوى نفس، أو لسببٍ من الأسباب الدنيوية، فله أن يضربَها ضربًا غير مبرح ثالثًا.

وهذا هو العلاج القرآني للزوجة الناشزة، ولَمَّا كان أكثر المشكلات التي تحدُث بين الزوجين، سببه الحق الشرعي للزوج، فقد جاء الترهيب الشديد للزوجة من هذا الأمر بالذات في السنة الصحيحة، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبتْ فبات غضبانَ عليها، لعنتها الملائكة حتى تُصبح"، هذا هو حكم الزوجة الناشز التي ترفض طاعة زوجها من الكتاب والسنة.

وأريد إلقاء الضوء فيما يخص نشوز الزوجة عن طاعة زوجها في تلبية حقِّه الشرعي، وأهمس في أُذن كل زوجة بنصيحة من واقع خبرتي في حل مشكلات المتزوجين؛ لتعلَم الغاية من الزواج إن كانت جاهلة، قد

تكون الزوجة ذات حسَبٍ ونسبٍ، وماهرة في الطبخ، وربة بيتٍ ممتازة بمعني الكلمة، وربما كانت مشاركة مع الزوج في نفقات المعيشة، وربما كانت مثقفة ومتعلمةً، ومحبَّة لزوجها وتحترمه، وكل هذا جميل وطيب، ومن الصفات المؤثرة في زيادة وتيرة المودة والرحمة، وهي الهدف من الزواج بمدلولها الشامل؛ قال تعالي :(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)-الروم: ٢١-،وأقصد بمدلولها الشامل ما سبق من صفات للزوجة أو بعضها، وقطعًا لا يخفى على المسلمة أن الغريزة الجنسية من أخطر غرائز الإنسان، وحرَّم الله كل السبل على المسلم لإشباعها، إلا عن طريق الزواج الشرعي، فالغاية الكبرى من الزواج هو إعفاف النفس والتحصن من الزنا، ويأتي بعد ذلك في المرتبة ما ذكرته هنا، وأكرّر بناءً على حُكم الشرع الذي بيّنّاه أعلاه، ونصيحة لكلّ زوجةٍ تمتنع بلا عذر شرعي، بل لهوى أو للضغط على الزوج لأمر دنيوي تريده،

ولا يخفى على المرأة أن زوجها رجل، وتقَعُ عينُه بقصدٍ أو بدُونه على نساء في العمل، أو المتبرّجات من النساء التي تسلب لبَّه، فيبدأ المقارنة بين زوجته وبينهنَّ، فاحذَري أن تَرديه دون عذر، فربما كانت كفَّتهنَّ أرجحَ وأخطر، وإنْ كان زوجك يخاف الله، ويغضُّ بصره، ولا يخونك ويخاف من الحرام، فهذا أمرٌ يُحسَب له لا لزوجته!

لكن ما يكبته في قلبه وحاجته لقضاء وطره، فلا يجد إلا الصد والرد، وهذا يجرح كرامته ويقدح في رجولته، وهذا سيجعله حتمًا يخرج عن صَمته كردِّ فعلٍ لإهمال الزوجة له، وربما يغضَب لأسباب تافهة، أو يتلفَّظ بالطلاق بمناسبةٍ وغير مناسبة: أنت طالق إنْ خرجتِ، أنت طالق إن ذهبتِ إلى فلان، أنت عليّ حرام... وهكذا.

ويبدأ من جهة الزوجة الشكُّ في تصرُّفاته، ويلعَب الشيطان لُعبته في إيقاد نار الشك في هذا التغيير، ويُوَسوس لك بوجود امرأةٍ أخرى، وتبدأ المشاجرات: مَن هي؟ ومتى وأين عرَفتَها؟

وما أغنى الزوجة عن كلِّ ذلك بأنْ تهتم بنفسها قليلًا؛ فإنَّ لزوجها عليها

حقًّا، فليكن بيتها جنَّتها ومصدر سَعادتها، ولتكن أمامَه في أجمل صورة وأطيب ريح، وسوف ترَى فائدة ذلك.

ومن ثم نقول :إن اهمال الزوجة لرغبة الزوج دون عذر شرعي؛ كمرضٍ أو حيضٍ، أو نفاسٍ، أو تعبٍ شديدٍ، أو غير ذلك مما يؤثر على حيويتها، ويحبط عزيمتها، فهنا على الزوج أن يتفهم ذلك، ولا يخفى أن عذرها هذا ليس دومًا، بل في أوقات معينة، وليس عذرًا دائمًا.

كلمة ونصيحة من القلب لكل زوج:

بعض الأزواج تأخذه الحميَّة، ويرى في امتناع زوجته إهانة لرجولته وقوامته، فيُطلقها، وأقول له: لحظة أيها الزوج، لا تخدعك المظاهر، وإياك أن تظلم زوجتك وتُطلقها دون أن تفهم أسباب امتناعها بما جُبلت عليه من عاطفة وغيرة، وهذا سبب تصرُّف الكثيرات من النساء، وعدم رغبتهنَّ في المعاشرة الزوجية رغم حبهنَّ واحترامهنَّ لأزواجهنَّ، وأذكره بثلاثة من الأسباب لعدم الإطالة:

-1الغيرة على الزوج:

المرأة بصفة عامة عندها حساسية وغيرة شديدة مجبولة عليها في قلبها، ممن يذكرهنَ زوجها من نسوة؛ سواء في العمل، أو من جيرانه، أو ربما من أهله، ويبدي أمام زوجته اهتمامه بهنَّ، إما بالاتصال أو المراسلة، أو الزيارة، أو ما أشبه هذا، والغيرة تؤدي إلى رد فعل من الزوجة، لكن قطعًا التمادي فيها بسوء الظن مدمرٌ لعشِّ الزوجية، فلتحترس كل زوجة، ولتكن معتدلة في غيرتها! وليكن الزوج مقدرًا لمشاعرها، فهي زوجته وأم أولاده، فلا يجرحها، وليجبر خاطرها إن شعرت بالغيرة.

والغيرة المعتدلة لكلٍّ من الزوجين بعضهما على بعض بلا إفراط أو تفريط - أمرٌ محمود في الإسلام؛ ودليل ذلك قوله صلَّى الله عليه وسلَّم)) :إنَّ الله يَغار، وإنَّ المؤمن يَغار، وغيرة الله أنْ يأتي المؤمن ما حرَّم عليه((؛ أخرجه البخاري في النكاح ح/٥٢٢٣.

• وقال العلامة ابن القيّم رحمه الله في الفوائد (1/ 141):... والغيرة لها

حدٌّ إذا جاوزَتْه صارت تهمة وظنًّا سيئًا بالبريء، وإنِ قصرت عنه كانت تغافُلًا ومبادئ دِياثة، وللتواضعُ حدٌّ إذا جاوَزَه كان ذلًّا ومَهانة، ومَن قصر عنه انحرَفَ إلى الكبر والفخر، وللعزّ حدٌّ إذا جاوَزَه كان كبرًا وخلقًا مذمومًا، وإنْ قصر عنه انحرف إلى الذل والمهانة.

وضابط هذا كله العدل؛ وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخِرة؛ ا.هـ.

-2فتور المحبة وإهمال الزوج لزوجته:

من الأسباب في نشوز الزوجة إهمال الزوج لها؛ إما لانشغاله بعمله الذي يطول وقته، فيُهمل فيه زوجته، أو كثرة سفره وتَرحاله، فلا يطلب عند العودة إلا الطعام، وينسى أن الله استخلفه في إنسانة لها مشاعر وأحاسيس، في حاجة لكلمة طيبة أو ابتسامة مشجعة، تُذهب عنها شقاءَ يومها في الطبخ والتنظيف، ورعاية الأولاد وخلافه، وتحتاج إلى تواصل عاطفي، كما ترغب أنت في التواصل الجسدي تمامًا.

وأنصح الزوج بزيادة مردوده العاطفي مع زوجته بكلمة أو هدية تُلهب مشاعرها، وسيرى فائدة ذلك، فهي مفطورة على الدلال وحب التجمل والتزين لمن تحب وتحترمه، وجرّب أيها الزوج ولن تخسر شيئًا.

-3سوء التفاهُم و عدم التشاور:

من خلال خبرتي، فسببُ اختلاف الزوجين في هذا الموضوع، هو عدم الصراحة بينهما والتهرب من مواجهة المشكلة بينهما؛ إما بسبب الحياء تارة، أو الكرامة وعزة النفس تارة أخرى، ولا بُدَّ لهذا الحاجز النفسي من هَدمِه وبناء جسر من التفاهُم والتشاور، والنصح والانسجام بينهما، قوامُه رعاية كلّ منهما لحقوق الآخَر؛ فلا يُهمِل الزوج حُقوقَ زوجته لمجرَّد خطَأ منها أو شيءٍ يكرهه فيها، وكذلك لا تهمل الزوجة حُقوق زوجها لبخلٍ منه، أو أذى بدَر منه؛ لسوء فَهمٍ، أو سرعة غضب، أو غير ذلك-1-
.

ولو عمل كلٌّ من الزوجين لحل هذه المشكلة التي تعكِّر صفو الحياة الزوجية بعقلانية وتفتُّح، وأنصت لمطالب شريكه واحترمها، وأولى من هذا جعل الكتاب والسنة مقدمًا على الهوى والعادات والتقاليد والبدع، لحُلَّت كلُّ المشاكل التي تنشأ بين كل من الزوج وزوجه، وخاصة ما يتعلق بحقوق الزوج الشرعية،هذا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

-1-للمزيد يرجع لكتابي الحلول الشرعية للمشاكل الزوجية وهو منشور على شبكة الألوكة.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/social/0/132891/#ixzz5h0xgblxp

١٠
التعزية المشروعة وآدابها النبوية

الحمد لله رب العالمين حمد عباده الشاكرين الذاكرين، حمدًا يوافي نعم الله علينا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
هناك خلط كثير وعادات وبدع، يفعلها البعض في التعزية عند موت من يحبُّه، ويظنُّ أنه ينفعه جهلًا منه بأحكام الشرع، وبادئ ذي بدء نقول: إن الموت حقٌّ على كل إنسان كما قال جل شأنه :(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) -العنكبوت: ٥٧-، وقال تعالى :(قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) -الجمعة: ٨-.

مشروعية التعزية:

وليكن معلومًا أن تعزية المسلم لأخيه المسلم مشروعة، ومن حقوق الأخوَّة في الله؛ لما فيها من المواساة وجبر الخواطر والتواصي بالحقّ، والتواصي بالصبر، وهي ثابتة في السنة، فقد عزَّى النبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابه، وعزَّى الصحابة بعضهم بعضًا، وهكذا فعل التابعون وتابعو التابعين، وجمهور أهل العلم يرى مشروعيتها بلا خلافٍ.

قال النووي رحمه الله: "واعلم أن التعزية هي التصبير، وذكر ما يُسلّي صاحب الميت، ويُخفّف حزنه، ويُهوّن مصيبته، وهي مستحبةٌ؛ فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهي داخلة أيضًا في قول الله تعالى :(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) -المائدة: ٢-، وهذا أحسن ما يستدلُّ به في التعزية، وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))، انتهى؛الأذكار" (ص/ ١٤٨-١٤٩).

صيغة التعزية:

تحصل التعزية بكل لفظ يُصبِّر المصاب على مصيبته، مثلما نقول نحن: "البقاء لله" أو "أعظم الله أجرك" أو "اصبر واحتسب" أو غير ذلك

مما تعارَفَ عليه الناس، فالأمر واسع؛ ولكن نبعد عن الألفاظ المخالفة للشرع؛ كقولنا: "البقية في حياتك"؛ فهي لا تصحُّ شرعًا؛ فعمر كل إنسان معلوم لا يزيد ولا ينقُص، وقطعًا أحسن ما يُعزَّى به ما روي في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: أرسلت إحدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم إليه تدعوه، وتُخبِره أن صبيًّا لها أو ابنًا في الموت، فقال للرسول: ((ارجع إليها، فأخبرها أن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجلٍ مُسمًّى، فمُرْها فلتصبِر ولتحتسب...))، هذا أفضل؛ ولكن كما قلنا الأمر واسع.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: "ويُعزِّيهم بما يظنُّ أنه يُسلِّيهم، ويكفُّ من حزنهم، ويحملهم على الرضا والصبر، مما يثبت عنه صلى الله عليه وسلم، إن كان يعلمه ويستحضره، وإلا فبما تيسَّر له من الكلام الحسن الذي يُحقِّق الغرض، ولا يخالف الشرع..."؛ انتهى من" أحكام الجنائز (1/ " 163).

ويجوز التعزية بأي وسيلة سواء في الطريق أو المسجد أو حتى بالهاتف أو بغير ذلك من الوسائل العصرية يحدث المقصود من التعزية لأهل الميت.

مدة التعزية وما قيل إنها ثلاثة أيام:

أعلم أنها ليست مُخصصة بثلاثة أيام كما يُشاع بين الناس، فهذا لا دليل عليه، فالتعزية غير مرتبطة بوقتٍ معين أو أيام محددة، فإن رأيت أخيك بعد مصيبته، فلك أن تُعزِّيه، وأما الدليل الذي يستشهد به على الثلاثة، فقد جاء خاصًّا بحداد الزوجة، والنهي أن تحد عن أي إنسان أكثر من ثلاثة عدا زوجها أربعة أشهر وعشرًا، والحداد غير العزاء كما لا يخفى.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: " وليس لها وقت مُخصَّص، ولا أيام مخصوصة؛ بل هي مشروعة من حين الدفن وبعده، والمبادرة بها أفضل في حال شدة المصيبة، وتجوز بعد ثلاثة من موت الميت؛ لعدم الدليل على التحديد"؛ فتاوى إسلامية (٢/ ٤٣).

الأماكن المخصصة للتعزية الشرعية:

أما مكان التعزية فليس في ذلك شيء محدَّد، فتجوز التعزية في بيته أو في المسجد أو الشارع أو مكان عمله فأينما وجد من أصابته مصيبة، فلك أن تُعزيه فيه.

فإن جلسوا في عزاء بدون تكلُّف ولا إسراف في مكان محدَّد، ودون مخالفات شرعية أو تكلفة وإسراف فلا بأس أيضًا، وهناك اختلاف بين العلماء في ذلك؛ ولكننا مع الرأي الذي يرى صحَّته ومنفعته في زماننا هذا، فهو من باب التيسير على الناس، وهو في وقتنا هذا من الضروريَّات الميسَّرة لتأدية التعزية.

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله حينما سُئِل عن حكم الجلوس للتعزية، فأجاب بالجواز قائلًا: "إذا جلسوا حتى يعزيهم الناس فلا حرج إن شاء الله؛ حتى لا يتعبوا الناس؛ لكن من دون أن يصنعوا للناس وليمة"؛ انتهى من "مجموع الفتاوى" (١٣/ ٣٨٢).

وهذا ما نستريح إليه في زماننا هذا، ونُكرِّر أن تحريم ذلك من العلماء المعتبرين من أهل السنة إنما لما يحدث فيه من البدع والمنكرات والتباهي التي يرتكبها أهل الغفلة إلا مَنْ رحم ربِّي، فإن خَلَتْ من ذلك فلا بأس إن شاء الله.

وتجديد الأحزان يومي الخميس والأربعين والذكري السنوية...إلخ كلها لا أصل لها؛ فالتعزية إن تمَّت انتهى الأمر.

صنع الطعام من أهل الميت:

نقطة أخيرة في مسألة التعزية وهي أن المشروع والسنة لأهل الميت هو عدم الإثقال عليهم بمن يحضر وإطعامهم فضلًا عمَّن يطلب ذلك منهم كعادة؛ جهلًا منه بالسنة، فهذا لا يجوز والصواب أن يصنع أهل الخير من الجيران والأصحاب لأهل الميت طعامًا؛ لانشغالهم بمصيبتهم لحديث عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ))؛ حسَّنه الألباني في أحكام الجنائز (ص:٢١١(،

وقال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٢٣٧) رحمه الله تعالى" :فيه دليل على شرعية إيناس أهل الميت بصنع الطعام لهم؛ لما هم فيه من الشغل بالموت"؛ انتهى.

فإن صنع أهل الميت طعامًا ودعوا الناس من أجل الاحتفاء بالميت أو كما يقال رحمة له، فهذا لا يجوز، وليس له أصل في السنة؛ بل السنة خلاف ذلك، ولا يجوز مشاركتهم فيه ممَّن يحضر للتعزية والله أعلم.

ولكن هذا بصفة عامة ولكن يستثنى مَنْ جاء من بلدٍ بعيدٍ وسفرٍ، وديننا يُسْرٌ ورحمة، فالنهي عمَّا يصنع من أجل الميت دون طلب أو عذر من سفر وبُعْد مكان، وهو مخالف للسُّنَّة قطعًا؛ وإنما يجوز لمن جاء من سفر أو بلد بعيد، فصنع له أهل الميت أو غيرهم من الجيران والأهل طعامًا؛ لحاجتهم الشديدة إليه بعد طول سفر وتعب ومعاناة، ولما أصابهم من المشقَّة كما لا يخفى، فليس بمحرَّمٍ؛ بل هو من كرم الضيافة كما لا يخفى، وإلى هذا القول ذهب بعض أهل العلم، من ذلك: ما ذكره ابن قدامة رحمه الله، قال: "وَإِنْ دَعَتِ الْحَاجَةُ إلَى ذَلِكَ جَازَ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا جَاءَهُمْ مَنْ يَحْضُرُ مَيِّتَهُمْ مِنْ الْقُرَى وَالْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ، وَيَبِيتُ عِنْدَهُمْ، وَلَا يُمْكِنُهُمْ إلَّا أَنْ يُضَيِّفُوهُ"؛ انتهى من" المغني /3) " 497).

ومن ذلك فتوى للشيخ ابن باز رحمه الله قال فيها: "أما إن نزل بأهل الميت ضيوف زمن العزاء، فلا بأس أن يصنعوا لهم الطعام من أجل الضيافة، كما أنه لا حرج على أهل الميت أن يدعوا مَنْ شاؤوا من الجيران والأقارب؛ ليتناولوا معهم ما أُهدي لهم من الطعام"؛ انتهى من "فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز.(9/ 325) "

• وفي "فتاوى اللجنة الدائمة" (٨/ ٣٧٨): "وأما صنع الطعام من أهل الميت للناس، فهو خلاف السنة؛ بل هو منكر... إلا إذا نزل بهم ضيف، فلا بأس"؛ انتهى.

والخلاصة النهي خاصٌّ في عمل طعام من أجل الميت والمباهاة في ذلك، أما لو جاء بعض الأهل كأبناء عمٍّ أو إخوانٍ من سفرٍ، ونزلوا على

أهل الميت لتعزيتهم وتسليتهم في مصيبتهم، فهم ضيوف لهم حق الضيافة، وجاز تقديم الطعام لهم، لا من أجل الموت ولا رحمة أو صَدَقة على الميت؛ بل إكرامًا للضيف لرفع ما أصابه من مشقَّة السفر، فلا حرج في ذلك إن شاء الله.

هذا ما وفَّقنا الله إليه في بيان التعزية المشروعة، والله من وراء القصْد، وهو يهدي السبيل.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/132932/#ixzz5h0xmkS8n

١١
تساؤلات حائرة لكل مسلم

الحمد لله رب العالمين وكفى، والصلاة والسلام على من اصطفى، وبعد:

هناك أمر يُثير العجب والدهشة معًا، أتدرون، ما هو؟ عندما نتأمَّل بيانات الشخصية لكل مسلم أو مسلمة في البطاقة الشخصية أو العائلية أو غير ذلك تجد في خانة الديانة أنه مسلم، فالحمد لله رب العالمين على نعمة الإسلام، وكلنا مسلمون؛ ولكن مع ذلك هناك أمر عجيب وتصرُّف غريب عن شخصية المسلم:

هناك مسلمون لا يصلون، والنبي صلى الله عليه وسلم يُحذِّر من ترك الصلاة، ويقول: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمَنْ تركها فقد كفر)) [1].

وهناك من لا همَّ لهم إلَّا التشكيك في الدين، لا في الحجاب ولا النقاب، وهناك مَنْ يُنْكر وجود عذاب القبر، وهناك من يُشكِّك الناس في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ويعيثون في الأرض لتضليل العباد عن دينهم، والله تعالى يقول :﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾]البروج: ١٠]، ألم أقل إنه أمرٌ يُثير العجب والدهشة؟ فهل من الإسلام أن يغتاب الأخ إخوانه المسلمين، وينال من عرضهم بلا رادع من دين أو ضمير؟

ثم هناك تساؤلات تبعث الحيرة في نفسي في دنيا الناس اليوم:

هل من الإسلام أن نستمتع ونبتهج بسماع مزامير الشيطان، ونحفظ أغاني المطربين والمطربات، الأحياء منهم والأموات، ويثقل علينا قراءة كتاب الله فضلًا عن حفظه، ولا نحفظ شيئاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

وأين هؤلاء من قوله تعالى :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾]لقمان: ٦]، وقول رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم: ((ليكونَنَّ من أُمَّتي أقوامٌ يستحلُّون الحر، والحرير، والخمر، والمعازف، ولينزلنَّ أقوامٌ إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة.[2]))

وهل من الإسلام أن نُجادل، ويتَّهم بعضُنا بعضاً، ونتشاجر في أمور اجتهادية تحتمل الخطأ والصواب؟

أليس الجِدال بلا أدلة وسند من القرآن أو السنة أو حتى منطق سليم، هو من عمل الشيطان؛ كما قال الله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴾]الحج: ٣].

وليقل لنا مَنْ يتبنَّى هذه الصورة السلبية ليكشف لنا هذه الالتباس والخلل بين القول والعمل: هل من الإسلام أن الرجل الذي أعطى الله له

القوامة والمسؤولية عن أهله، لا يهتم ولا يبالي بخروج زوجته أو ابنته متبرجة عارية الشعر والساق والنحر؟ والنبي صلي الله عليه وسلم بشَّر النساء الكاسيات العاريات بالنار إن لم تتب الواحدة منهن، وترتدِ الحجاب، وتُطع الله ورسوله.

ألم يُحذِّر الله تعالى كل مسلم على ما استرعاه من أهله، فقال جل شأنه :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾]التحريم: ٦[.

•وكذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم: ((أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْهُ، أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.[3]))

وهل من الإسلام أن يقبل المسلم الرشوة، وقد لعن الله فاعله؟ ألم يُحذِّر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كل مسلم، كما ثبت من حديث عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ)) :لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ.[4]))

هل من الإسلام أن يُؤذي الجار جاره، ويهمل تربية أبناءه، ولا يعرف الزوج حقوق زوجته، ويتلفَّظ بالطلاق بمناسبة وغير مناسبة: أنت طالق إن خرجتِ من البيت، أنت طالق إن ذهبتِ إلى أبيكِ، عليَّ الطلاق لن تفعلي كذا، أنتِ عليَّ حرام، وقد يُعاشرها في الحرام وهو لا يدري أنه طلَّقها ثلاثة، فلا تحلُّ له ألا بعد أن تتزوَّج غيره؟!

هل من الإسلام أن تخرج المرأة المسلمة أو الزوج المسلم أسرار بيته، وما يحدث بينهما للأُمِّ أو للصديقة أو غيرهما دون مسوغ شرعي، ألم يصف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أنه من شرار الخلق، وكيف يسقط في هذا الذنب وهو ينطق ويشهد خمس مرات بشهادة التوحيد في اليوم والليلة.

فقال صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))؛ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

معشر المسلمين، الأمر جد خطير؛ ولكن قد تسأل بعد حيرتك مثلي: ما العلاج لنتوب قبل الممات لعل وعسى؟

وجوابي من خلال هذه الآية :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾]آل عمران: ١٠٢].

نعم، البداية السليمة أن نتقي الله إن كنا مسلمين حقًّا، لا نتحجَّج بالسعي للرزق تاركين الصلاة؛ لأن العمل عبادة، تاركين الحج مع الاستطاعة لضيق الوقت، تاركين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأننا نخشى الناس، والله أحقُّ أن نخشاه؛ لكن أندري جميعًا حقيقة التقوى؟

•يقول طلق بن حبيب رحمه الله في تعريفها: العمل بطاعة الله بنور من الله، ترجو ثواب الله.

نعم، البداية الصحيحة هي تقوى الله تعالى ليس في الأعمال فقط؛ وإنما في الأقوال أيضًا، قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾]الأحزاب: ٧٠، ٧١]، وليعلم كلٌّ منا أن حقيقة تقوى الله تعالى، لا تكون كما تحبُّ أنت؛ وإنما تكون على المنهج-الكتاب والسنة - ولنتذكَّر دومًا لا يكون المسلم تقيًّا إلا كما قال الله، وقال الرسول؛ لا كما قال أبي أو قالت أُمِّي، أو قال مُعلِّمي.

فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سبحانه، فكل ما يخالف المنهج ضلال في ضلال، ومردود على صاحبه؛ قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾]محمد: ٣٣[، إذًا لا مفرَّ من أن نلتزم بالمنهج في حياتنا، ولا نعيش على مبادئ وقيم وعادات، لا ندري: هل هي توافق المنهج، فتُرضي الله عنا، أم أنها تُخالف المنهج، والله ساخط علينا، ونحن لا ندري؟

والعلاج بالعودة إلى المنهج قبل فوات الأوان؛ قال تعالى :﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾]آل عمران: ١٣٣[، وأعلموا معشر المسلمين أن تطبيق المنهج ليس سهلًا؛ لأن الشيطان يتربَّص بنا، ولا يريد لنا الخلاص والاستقامة على الطريق حتى قال اللعين ما ذكره ربُّ العزة على لسانه في القرآن :﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ *ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾]الأعراف: ١٦، ١٧[، والشيطان معنا منذ مولدنا حتى مماتنا، لا يفتر ولا يمل، وثبت هذا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:)) مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ؛ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾]آل عمران: ٣٦[5]["، والحديث متفق عليه.

وهناك أعداء غير الشيطان الرجيم الخطر منهم والفتن عظيمة، فلا تنسوا النفس الأمَّارة بالسوء التي تتمرَّد على الطاعة، وتلهينا بالمعصية والدنيا وزينتها الفانية التي تُنادينا: هلمُّوا، واستمتعوا؛ يقول تعالى :﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾]الحديد: ٢٠.[

وليتنا نتدبَّر بعُمْق ويقين كتابَ الله تعالى، ونتوب إليه قبل فوات الأوان، ونُدرك أن كل شيء هالك إلا وجهه، وكل ملك زائل إلا مُلْكه، فنستقيم، ويدفعنا الترهيب الشديد للعمل، والالتزام بحق

وأقولها واضحة جلية: لن نجد الاستقامة والسكينة إلا في الطاعة، فالمحبة القلبية أمرٌ محسومٌ، ونحن جميعاً لا نشكُّ في محبَّتنا لله ورسوله؛ ولكن صدق المحبَّة أن تكون جوارحنا في طاعة الله، فالمحبة القلبية أمرٌ بينك وبين الله، والطاعة هي البُرهان على صدق محبَّتك القلبية.

•قال تعالى :﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾]آل عمران: ٣١[، والآيات في ذلك كثيرة تحثُّ على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتذكَّر دوماً أنك مسلم تقول: لا إله إلا الله، وتؤمن بالله، فأنت على يقين بأن الله هو الرب الجليل، وأنت العبد الذليل، وأن الله هو الخالق البارئ المحيي المميت جلَّ في علاه، وأنت حياتك بين يديه، فكُنْ صادقًا طائعاً بالجوارح والأركان؛ لا بالقول باللسان والكلمات.

واستشعر عظمة الله في نفسك، وتأمَّل كيف تكون حقيقة الإيمان والمحبة الحقيقية الصادقة، وإخلاص الطاعة لله ورسوله حقًّا.

فالإيمان الحقيقي الصادق هو الذي جعل النبي وهو الأسوة الحسنة يتعبَّد له، ويقوم الليل، ويطيل القيام حتى تتورَّم قدماه، أو تتفطَّر، قيل له: أتصنع هذا، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك، وما تأخَّر، فقال:

((أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً[6]))، فالنبي يستشعر حقيقة عبوديته لله في الصلاة، فماذا عنا نحن؟

نعم هناك مسلمون؛ ولكن لا يقومون الليل، ولو ركعتين، ولا يذكرون الله إلا قليلًا إلا من رحم ربي، ولا يتصدقون، ولا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، ولا يحدِّثون أنفسهم اللوَّامة بالتوبة؛ لأنهم كثيرو الخطأ، ويظن بعضهم أنه لا يخطئ!

وليكن معلوماً لنا معشر المسلمين أن الإيمان الحقيقي هو الذي جعل رسول الله يقول بلا تردُّد: ((إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحدِّ، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يداها[7]))، ولا أظنُّ أن هناك مسلماً يشكُّ لحظة في صدق النبي الذي لا ينطق عن الهوى، صلى الله عليه وسلم.

ينبغي للمسلم الحق أن يصلح الخلل في قلبه بين محبة الدنيا وزينتها وبين محبته لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فلا يكون هناك تناقُض بين الأقوال والأفعال في حياته القصيرة الفانية في دار الغرور، ومع إخلاص النيات في السرِّ والعلَن إن شاء الله الرحمن الرحيم، يوفقنا الله جميعًا معشر المسلمين للفلاح والنجاة، ويحشرنا في زمرة النبيين والصديقين،والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، ونسأله الثبات على هدي نبيِّه وسُنَّته حتى الممات،وأن يرزقنا بفضله وكرمه حسن الخاتمة، إنه وليُّ ذلك، والقادر عليه والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

---

[1]انظر: الجامع الصحيح، برقم/ ٤١٤٣.

[2]رواه البخاري تعليقًا، برقم ٥٥٩٠، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني ٩١.

[3]أخرجه البخاري، برقم (٧١٣٨)، ومسلم، برقم (١٨٢٩).

[4]صحَّحه الألباني في "إرواء الغليل" (٢٦٢١).

[5]أخرجه مسلم، باب: فضائل عيسى عليه السلام، برقم/ ٢٣٦٦.

[6]رواه البخاري، باب: قوله:﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾]الفتح: ٢]، برقك/(٤٥٥٧)، ومسلم، باب: إكثار الأعمال، والاجتهاد في العبادة، برقم (٢٨٢٠).

[7]أخرجه البخاري، باب: حديث الغار، برقم (٣٤٧٥)، ومسلم، باب: قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، برقم (١٦٨٨).

رابط الموضوع :

https://www.alukah.net/sharia/0/133203/#ixzz5j73dg2ef

١٢
هل تعرف مقامك عند الله؟

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آلِه وصحْبه، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، أما بعد:
فأحبتي في الله، ليَنتبه الجميع ويتدبر هذه الكلمات، ثم ليُجب كلٌّ واحد منا عن هذا السؤال رغم صعوبة العلم به، ورغم قدرته على الوصول إليه بالعمل والسعي في رضا مولاه عز وجل، وليسأل كلٌّ منا نفسه بكل صراحة ووضوح وشفافية، دون خوف أو رهبةٍ، فلا أحد يطلع عليه إلا علام الغيوب سبحانه وتعالى: هل الله يحبك؟ وما مقامك عند الله تعالى؟ !اقرأ وستعرِف الإجابة.

نحن جميعًا نحب الله؛ فهو خالقنا ورازقنا، ولا غِنى لنا عن رحمتِه وفضله، ونخافه لقوته وبطشه وعذابه في الدنيا والآخِرة، ولكن مِن الصعب أن يعرِفَ العبدُ هل الله يحبُّه أم لا، وهو يسأل نفسَه دومًا: ما مقامي عندَ الله؟ هل هو راضٍ عنِّي أم لا؟

وهذا سؤال مِن الصعب الإجابةُ عنه، ولكن قال أحدهم: إن أردت أن تعرِفَ مقامَك عند الله، فانظر إلى مقام الله عندَك، تعرِف مقامك عندَ الله"، ولله دَرُّه! فهذا كلام لا يَصدُر إلا عن قلب مؤمن، ولسان لا يفتُر عن ذِكْر الله، ويدلُّ على ذلك هذا الحديث:
عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((إذا أحبَّ اللهُ العبدَ نادَى جبريل: إنَّ الله يحب فلانًا فأحْبِبه، فيُحبه جبريلُ، فينادي جبريل في أهل السماء: إنَّ الله يحب فلانًا فأحبُّوه، فيحبه أهلُ السماء، ثم يُوضَع له القَبول في الأرض))؛ رواه البخاري.

فما مقامك عند الله؟ ولنوضحه بعبارة أخرى بأسئلة لا نريد منك إجابتها، ويكفي أن تعرف نفسك: ما مقام مراقبة الله في أعمالك؟ كيف هي علاقتك بزوجتك وأولادك؟ هل أنت حافظ لرعيتك وهم أمانة في عنقك؟

يقول تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)]التحريم: ٦[.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»؛ أخرجه البخاري برقم/ ٨٩٣.

وفي عملك هل أنت أمين وتتقي الله وتؤدي عملك بضمير مرتاح على خير وجه، ولا تستغل عملك في مصالحك الشخصية؟
إن لم تكن كذلك فأين أنت من قوله تعالى :(**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) **]التوبة: ١٠٥[.**

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم» **:إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يُتقنه»؛ الصحيحة ١١١٣.**

وكيف مقام مراقبة الله مع جارك: هل تُحسن إليه وتعرف حقَّ الجوار، أم تتعمد أن تؤذيه في نفسه أو زوجته أو أولاده؟
هل تعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم يوصيك به خيرًا، وجعل من الإيمان عدم أذيَّته بالقول أو الفعل، فقال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلاَ يُؤْذِي جَارَهُ.."؛ أخرجه البخاري برقم/ ٥١٨٥.

•وأصحاب الأرحام من أهلك وأحبابك، هل تصلهم، أم أنك مشغول في السعي في دنياك الفانية وأعمالك التي لا تنتهي؟
ألا تخشي إن قطعتَها عقابَ الله لك؟ وهل تريد أن تكون من المفسدين في الأرض الذين من صفاتهم قطع الأرحام؟ ألم يقل عز وجل :(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ *أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ)]محمد: ٢٢، ٢٣.[

وقال رسوله صلى الله عليه وسلم: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ [1]مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ"؛ أخرجه البخاري.

وأهم من ذلك كله كيف هو حبُّك لله ومقام طاعاته عندك في حرصك على الصلوات في أوقاتها والمحافظة عليها؛ لأنها الصلة بينك وبين الله، وأول ما يحاسبك الله عليها يوم القيامة، أم أنك ممن إذا سمعوا النداء قاموا كسالى؟ **يُرَاؤُونَ الناس ويخدعونهم، وليس في قلوبهم رهبة أو رغبة؛** كما قال عز وجل :(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)]النساء: ١٤٢.[

•وماذا عن قول النبي صلى الله عليه وسلم:" مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا، كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلا بُرْهَانٌ وَلا نَجَاةٌ، وَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ"؛ المشكاة بتحقيق الألباني برقم/ ١٥.

•وماذا عن الصيام عن الطعام والشراب، وبالجوارح عن الآثام والذنوب، أم أنك ممن قال عنه نبينا صلى الله عليه وسلم: "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر"؛ صحيح الترغيب ١٠٧٦.

وما مقام مراقبته عز وجل عندك في ترتيل كتابه وتدبره، والعمل بحلاله وأوامره، واجتناب حرامه ونواهيه.
ألم يقل تعالى :(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)]ص: ٢٩.[

يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»؛ أخرجه البخاري برقم/ ٥٤٢٧.

وكيف مقام مراقبة الله عندك في حبك للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو الأسوة الحسنة لنا جميعًا هل تعمل بسنته، أم تبتدع وتتَّبع هواك الذي يصدك عن الحق؟

ألم يطلب الله تعالى في كثير من الآيات طاعته؛ من ذلك قوله تعالى وهو يضع شرطًا لمحبتك له عز وجل، فقال :(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)]آل عمران: ٣١.[

وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم لا يرى حقيقة إيمانك إلا في محبتك له أكثر من ولدك ووالدك والناس أجمعين، فقال: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"؛ أخرجه مسلم برقم/ ٤٤.

وغير ذلك كثير في كل عملٍ أو قول، وأنت تعلم أن كل يوم يمر من عمرك يقرِّبك للقائه عز وجل، ومهما طالت بك الأيام، فلا بد لك من الموت، وكن على يقين ليس بعد هذه الدار من دار إلا الجنة أو النار، ونعود للسؤال: ما مقامك عند الله؟ هل تجتهد وتسعى لرضاه عنك أم لسَخَطِه عليك، بسبب صد هواك وشيطانك؟

إن كان يغرك بالله الغرور، وتقول :أنا أُحسن الظن بربي، وأعرف مقامي عند الله، فلا تخبرنا إن كنا نرى أنك في ظاهرك تُبارزه بالمعاصي والذنوب، وصفحتك في الفيس بوك وغيره مليئة بصور النساء وأهل الفن والفساد، ناهيك عن السب والقدح ونشر الشائعات، والتشهير بعباد الله بلا رادعٍ من دين أو ضمير أو حياءٍ، وكذلك الصد عن الدين والتشكيك في المسلَّمات، ونشر الفتن والقيل والقال.

هل هذا مقامك عند الله أن تكون من الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات؟ ألم تتدبر قوله تعالى :(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)]الأحزاب: ٥٨[.

ومع ذلك فربُّك أعلم بما تخفي الصدور، وهو أقرب إليك من حبل الوريد، وأنت وحدك تتحمل مسؤولية نفسك التي بين جنبيك، وكل إنسان على نفسه بصيرة؛ قال تعالى :(بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ *وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ)]القيامة: ١٤، ١٥[.

وأنت وحدك الذي تقف بين يديه؛ ليحاسبك عن أعمالك وأقوالك، فلا تزر وازرة وزرَ أخرى، ويوم القيامة ستعرف مقامك إن لم تحاسب نفسك اليوم قبل غدٍ وقبل فوات الأوان،

فلا راد لقضاء الله فيك، ولا مُعقب لحكمه؛ فاحذَر أن تأتيك المنية ومقامك عند الله شرُّ مقام، وتظل تلعب وتلهو وأنت في غفلةٍ، وكتابك وأعمالك وفضائحك وفسادك ستلقاه منشورًا، فالله تعالى يقول وقوله الحق :(وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا *اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)]الإسراء: ١٣، ١٤[.

وفي هذا اليوم لا ينفع الندم بعد العدم، فلا دنيا تعود ولا توبة تُقبل، ولا رحمة إلا مَن رحِمه وأحبه، وكان له مقام عنده، فهل ستكون من السعداء أم من الأشقياء؟ فكن ممن قال فيهم عز وجل :(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ *إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ *فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ *فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ *قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ *كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)]الحاقة: ١٩ - ٢٤[. ولا تكن ممن خسروا الدنيا والاخرة الذين قال عز وجل فيهم :(وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ *وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ *يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ *مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ *هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ *خُذُوهُ فَغُلُّوهُ *ثُمَّ الْجَحِيمَ

صَلُّوهُ)]الحاقة: ٢٥ - ٣١]. وختامًا أسأل الله أن يرزقني وإياكم حسنَ الخاتمة في الدنيا والآخرة، وأن نكون من أهل دعوته ونُصرة دينه، ويعفو بفضله وكرمه عن ضَعفنا، ولا يؤخذنا بما فعل السفهاء منا، وأن يقوِّي عزيمتنا وإيماننا، وأن يكون لنا عنده مقام ومحبة لحبنا لدينه ورُسله وعباده، إنه ولي ذلك والقادر عليه، اللهم أني قد بلغت اللهم، فاشهَد.

---

[1]قال أهل العلم: (شجنة) يجوز في الشين الضم والكسر والفتح، وهي في الأصل عروق الشجر المشتبكة، (مِنْ الرَّحْمَن)؛ أيْ: أُخِذَ اسْمُهَا مِن هذَا الاسم، والمعنى أن الرحم أثرٌ من آثار رحمته تعالى، مشتبكة بها، فمن قطعها كان منقطعًا من رحمة الله عز وجل، ومَن وصَلها وصلتْه رحمةُ الله تعالى.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/133433/#ixzz5puAR0ArZ

١٣

الموت حق (وقفة تأمل)

إن الحمد لله، نَحْمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربّي وسلامُه عليه، وعلى آله وصَحْبه أجمعين.

أما بعد:

الموت حقٌّ على كل كائن حي على وَجْه البسيطة، لا مفرَّ منه ومن سكراته كائنًا من كان، حيوانًا كان، أو إنسيًّا، أو جنيًّا، وحتى الأحجار الصمَّاء ستنهار، والبحار ستنفجر، والأرض ستُزلزَل وتزول، وتُخرج ما فيها، وتنتهي وتتبدَّل؛ قال تعالى :(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)]القصص: ٨٨]، حتى مَن اصطفاهم عز وجل من أنبيائه ورُسُله من البشر لم يكتب لهم الخلود الأبدي؛

بل ماتوا ورحلوا؛ فقد مات نبيُّ الله نوح، ومات خليل الله إبراهيم، ومات كليم الله موسى، وسوف يموت روح الله عيسى قُرْبَ قيام الساعة عليهم السلام أجمعين، وحتى نبينا صلى الله عليه وسلم أحَبُّ الخَلْق إلى الله، صاحبُ المقام المحمود يوم القيامة؛ مات، وقال له تعالى :(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)]الزمر: ٣٠[.

والصحابة الكِرام أصحاب الهِمَّة العالية والإيمان الراسخ كالجبال؛ كأبي بكر الصديق، والفاروق عمر بن الخطاب، ومن تستحي منه الملائكة؛ عثمان بن عفان، ومن كان للنبي بمنزلة هارون من موسى ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ علي بن أبي طالب، وأمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح، وسيف الله خالد بن الوليد وغيرهم من الرعيل الأول من سلفنا الصالح من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ومَنْ تَبِعَهم من التابعين وتابعي التابعين عليهم سحائبُ الرحمة، ماتوا جميعًا كذلك، كما مات وسيموت أهل الكُفْر والفسوق في ربوع العالمين على مرّ الدهور والعصور؛ من أمثال أبي جهل، وأبي لهب، والوليد بن المغيرة، وقيصر، وكسرى، وغيرهم، وأشباههم قديمًا وحديثًا؛ ولكن مع الفارق بين ما ينتظره أهل الإيمان من نعيم مقيم بوَعْد من الله القائل :(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)]التوبة: ١٠٠[، وما ينتظره أهل الظلام والكفر من عذاب أليم بوَعْد من الله القائل :(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)]آل عمران: ١٢[.

فالموت حقٌّ حتى للملائكة المقرَّبين؛ كملك الموت نفسه عليه السلام، الكُلُّ يموت ويفنى، وكُلُّ مَنْ عليها فانٍ، ولا يبقى إلَّا الحيُّ القيوم، العزيز القهَّار؛ قال تعالى :(لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)]غافر: ١٦[، فلا ملك إلَّا مُلكه، ولا سُلطان إلَّا سُلطانه، ولا شفاعة إلَّا له وبإذنه، كما قال تعالى :(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)]البقرة: ٢٥٥[.

فلا عجب أن الموت هو الحقيقة التي تقف أمامها البشريةُ بغرورها وحُبِّها للحياة، إلا مَنْ رحم ربِّي عاجزةً عن الهروب منه؛ كما قال

الحق جل وعلا :(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)]النساء: ٧٨]، ومهما برعت قريحتُهم بكلّ أسباب الرفاهية والغرور، فحياتهم وروحهم التي لا يعلم سِرَّها إلَّا خالقُها ومالِكُها في أجسادهم إلى حين الأجل المقدور، فيأذن بخروجها؛ قال تعالى :(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)]الإسراء: ٨٥]، وأمَّا الجسد الفاني سيظلُّ جثةً لا حراكَ فيها، فمن التراب خلقَه الله، وإلى التراب يعود (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى)]طه: ٥٥].

قال السعدي رحمه الله في بيانها ما مختصره: أخبر أنه خلقنا منها، وفيها يُعيدنا إذا مِتْنا فدُفِنَّا فيها، ومنها يُخرِجنا تارة أخرى، فكما أوجدنا منها من العَدَم، وقد علمنا ذلك وتحقَّقْناه، فسيُعيدنا بالبعث منها بعد موتنا؛ ليُجازينا بأعمالنا التي عملناها عليها؛ تفسير السعدي (ص/٥٠٧).

فالموت مرحلة اللاعودة لكل شيء مخلوق، إلا في القيامة، وأنه سوف يفنى وينتهي، ولا ملجأ منه إلا إليه سبحانه وتعالى، وهذه حقيقة أبدية، لا تتغيَّر، ولا تتبدَّل، وجميعًا نعلم هذا، وعلى بصيرة به، ومن ثم ليس عجيبًا أن نسأل ونعترض تعجُّبًا من العباد؛ لغفلتهم مع إيمانهم به، وأنه حقٌّ وليس من الموت نفسه؛ فهو أمرٌ مفروغ منه.

فنقول: الموت حق، وبعض العباد يهرولون ويُضيّعون حياتهم في اللهو واللعب والانشغال بالزوجات والأولاد وجَمْع المال من هنا وهناك، ونسوا أنهم في دار الغرور والمتاع الزائل الفاني؛ كما قال تعالى :(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ)]الحديد: ٢٠]، وهي دارٌ مسترجعة، يرزق الله فيها المؤمن والكافر بالأسباب التي جعلها لهم، وهي من قدره وحكمته؛ لأنها لا تساوي عنده عز وجل جناح بعوضة، كما قال نبيُّنا صلى الله عليه وسلم: ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناحَ بعوضةٍ، ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ))؛ صحيح الجامع/٥٢٩٢، والصحيحة برقم/٩٤٣.

وإن شاء رزقهم بغير الأسباب بفضله وكرمه، وليس لنا من الأمر شيء، ولا مجال للاعتراض أو السؤال عن هذا الفضل والكرم؛ فهذا

راجع لحكمته ومشيئته ورحمته وعلمه الذي وسِعَ كل شيء (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)]الأنبياء: ٢٣.[

فالموت حق والناس في غفلة عن ضياع العمر في القيل والقال، وإضاعة المال، وإهمال العبادة والطاعة، وهي سببُ وجودهم، والتي تُقرّبهم من الله خالقهم ورازقهم، كما قال تعالى :(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ)]الذاريات: ٥٦، ٥٧.[

وما كانت الهموم والغموم وأنواع البلايا التي تصيب بعض العباد في الدنيا إلا امتحان لمدى صبرهم وتقواهم؛ أن أفلحوا، ومن أجل إقامة الدليل والحجة على أنفسهم أن جحدوا وظلموا، وباعوا دينَهم بدُنْياهم؛ قال تعالى :(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)]الملك: ٢.[

ولا ينجو إلَّا مَنْ رحِم ربّي، وذكر الموت دومًا، ووضعه نصب عينيه، ويعرف من أين جاء وإلى أين يمضي، فلم يُطِعْ شيطانه ونفسه الأمَّارة بالسوء، وعمل لدار أبديَّة حقيقية، فيها ما لا عين رأتْ، ولا أُذُن سمِعَتْ، ولا خطر على قلب بشَر بجوار من أحبَّ سُنَّتَه، وتمسَّك بهَدْية، فكان ممَّن قال الله فيهم بإذن الله أن أفلح وصدق (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)]النساء: ٦٩.[

ولهذا يوصينا نبيُّنا الكريم، فيقول لكل مسلم ومسلمة: ((أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت؛ فإنه لم يذكره أحدٌ في ضيق من العيش إلَّا وسَّعَه عليه، ولا ذكره في سعة، إلَّا ضيَّقها عليه))؛ صحيح الجامع برقم/١٢١١.

وكما قلت الناس في غفلة إلَّا مَنْ رحِمَ ربّي منهم، والأيام تمرُّ يومًا بعد يوم، وشهرًا بعد شهر، وسنوات تمضي سراعًا، ويقترب الأجل وهو قريب في كل وقتٍ وحين إلى أن يأذن ربُّ العباد بانتهائه، فلا مفرَّ منه، ولا ملجأ من الله إلا إليه سبحانه وتعالى.

وقد يظنُّ البعض ممَّن في قلبه مرض أن الموت لا يُصيب إلَّا المرضى الميئوس من شفائهم، أو مَنْ وصل إلى أرذل العمر، وغير ذلك مما

يراه أهلُ الغَفْلة، مع أن الموت لا يُفرّق عندما يحين وقته بين كبير وصغير، ولا بين خفير ووزير، ولا بين غني وفقير، ولا بين رجل وامرأة؛ بل كما قال جل وعلا :(كُلُّ نَفْس ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بالشَّرّ وَالْخَيْر فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)]الأنبياء: ٣٥.[

الموت حق.. ومن المؤلم أن يفارقنا بالموت إنسانٌ عزيزٌ على قلوبنا، نُحبُّه ونستشعر بألم الفراق به، فقد اختَفَتْ بسمتُه وضحكتُه، وضاعت كلماتُه الحلوة، ورائحتُه الطيبة، وجلساته التي أشاعَت السعادة في قلوبنا، وفرَّق بيننا وبينه هاذم اللذَّات، وفارقنا هو بروحه إلى خالقها، وبقي جسدُه جثةً لا حراك فيها، ودون إرادة منه أو اختيار، وذهب إلى غير رجعةٍ إلينا، بما جنَتْ يداه من خير أو شرّ، ولا حيلة لنا أمام قضاء الله إلَّا الرّضا والتسليم، فهو خالقه يعلم سريرته وعلانيته، وهو القائل جل وعلا :(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ *إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ *مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ *وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)]ق: ١٦ - ١٩.[

فمهما كان الألم في نفوسنا ونحن نرى موته رؤية عين، ونُشيّعه لقبره، ونحن لا نملك له إلَّا الدُّعاء له جلَّ جلالُه حتى يتغمَّده برحمته، ويعفو عنه، وهو في أشدِّ الحاجة إلى رحمته، وهو أرحم الراحمين؛ لأننا بكُلّ بساطةٍ لا نملك له، ولا لأنفسنا نَفْعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا.

وجميعًا نفتقر إلى رحمة الله تعالى الحي والميت، والغني والفقير، والمتعلِّم والجاهل، والقوي والضعيف؛ لأنه سبحانه الذي يتكفَّل بأرزاقنا وأعمارنا ومصائرنا في الدنيا، فلا رزق ألَّا رزْقه، ولا نعيش في أرض إلا أرضه، ولا نِعْمة إلَّا منه وإليه، وهو سبحانه الذي جعل لكل شيءٍ سببًا، وسخَّر لنا كلَّ ما في الكون كله لخدمتنا، وكذلك في الآخرة، لا رحمة إلَّا رحمته، ولا عَفْو إلَّا عفوه.

ومن الغفلة أن نعلم كل هذا، ولا نرتدع عن المحرَّمات، ولا تهاب أنفسُنا لقاء الله بالموت ونحن على معصية، إنها مصيبة تحتاج لمراجعة مع النفس قبل فوات الأوان.

ومن الغفلة والخطأ في حقّ النفس أن ننتظر بلا عقل أو منطق أو ذرَّة من إيمان صادق لا وَرَع زائف ما أصاب قلوبنا من حبٍّ للدُّنيا وزينتِها من المال والنساء والأولاد والجاه والسلطان وغير ذلك، ونطمع في المزيد، وكل يوم لنا ميت نُشيّعه، وننتظر دورنا على اختلافِ بيننا في الاستعداد للقاء الله بين مؤمن وكافر وعاص لربّه، ومَنْ يُحسِن الظَّنَّ به بلا عمل، إلا من تابِ وآمن وعمِل صالحًا، كما قال تعالى :(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا *وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا)]الفرقان: ٧٠، ٧١[.

ورحم الله من قال:

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا

واعصي الهوى فالهوى ما زال فتَّانا

أما ترين المنايا كيف تلقطنا

لقطًا وتلحق أُخْرانا بأولانا

في كل يوم لنا ميت نُشيِّعه

نرى بمصرعه آثارَ مَوْتانا

يا نفس ما لي وللأموال أتركُها

خلفي وأخرجُ من دُنْياي عريانا؟

الموت حق وكل إنسان على نفسه بصيرة من أمره، وأنا لا أدري لماذا بعض الناس تحزن على ما فاتها من زينة الحياة الدنيا الفانية مع أن الآخرة خيرٌ وأبقى، وتغفل عن عبادة خالقها ورازقها، وفي ذلك نجاتهم أن عقلوا؛ قال عز وجل :(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)]التوبة: ١٠٥[.

قال السعدي رحمه الله في بيانها؛ أي: لا بدَّ أن يتبيَّن عملكم ويتضح، (وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)]التوبة: ١٠٥[من خير وشرّ، ففي هذا التهديد والوعيد الشديد على مَن استمرَّ على باطله وطغيانه وغيّه وعصيانه.

ويحتمل أن المعنى: أنكم مهما عملتم من خير أو شرّ، فإن الله مُطَّلِعٌ عليكم، وسيطَّلِع رسوله وعباده المؤمنين على أعمالكم ولو كانت باطنة؛ ا ه (ص/٣٥١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنه ليس شيء يُقرّبُكم إلى الجنة، إلَّا قد أمرتكم به، وليس شيء يُقرّبُكم إلى النار، إلَّا قد نهيتُكم عنه، إن روح القدس نفث في روعي: إن نفسًا لا تموت حتى تستكمل رِزْقَها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإن الله لا يدرك ما عنده إلَّا بطاعته))؛ السلسلة الصحيحة/٢٨٦٦.

وما أجمل قول الشاعر:

النفس تبكي على الدُّنيا وقد علمت
أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنُها
إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإنْ بناها بخيرٍ طابَ مسكنُه
وإنْ بناها بشرٍّ خابَ بانيها

الموت حق وما زال البعض إلا من رحم ربي، من الطفولة البريئة بلا حساب وتجاوز من رحيم غفور، إلى البلوغ والشباب والقوة وسِجلُّه حافل بالمعاصي والذنوب إلى الكهولة والضعف وقلة الحيلة والأعمال في دنياهم الفانية؛ كما قال تعالى :(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)]الروم: ٥٤[.

قال ابن كثير رحمه الله: "يُنَبّهُ تَعَالَى عَلَى تَنَقُّلِ الْإِنْسَانِ فِي أَطْوَارِ الْخَلْقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَأَصْلُهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ، ثُمَّ يَصِيرُ عِظَامًا ثُمَّ يُكسَى لَحْمًا، ويُنفَخ فِيهِ الرُّوحُ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ضَعِيفًا نَحِيفًا وَاهِنَ الْقُوَى، ثُمَّ يَشِبُّ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَكُونَ صَغِيرًا، ثُمَّ حَدَثًا، ثُمَّ مُرَاهِقًا، ثُمَّ شَابًّا، وَهُوَ الْقُوَّةُ بَعْدَ الضَّعْفِ، ثُمَّ يَشْرَعُ فِي النَّقْصِ فَيَكْتَهِلُ، ثُمَّ يَشِيخُ، ثُمَّ يَهْرَمُ، وَهُوَ الضَّعْفُ بَعْدَ الْقُوَّةِ، فَتَضْعُفُ الْهِمَّةُ وَالْحَرَكَةُ وَالْبَطْشُ، وَتَشِيبُ اللِّمَّةُ، وَتَتَغَيَّرُ الصِّفَاتُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ؛ وَلِهَذَا قَالَ :(ثُمَّ جَعَلَ مِنْ

بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ)؛ أَيْ: يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَتَصَرَّفُ فِي عَبِيدِهِ بِمَا يُرِيدُ، (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)؛ ا هـ، تفسير ابن كثير (٦ /٣٢٧).

فكل هذا العمر الضائع ونحن على يقين بالموت، وأنه حقٌّ لا ريب فيه، والدفن في التراب، في باطن الأرض مسكنًا لنا، ولا مندوحة منه، وكل منَّا بلا أنيس، ولا جليس إلَّا عمله الصالح، وغيرها من الأعمال والأقوال في كتابٍ، لا يضِلُّ ربّي، ولا ينسى، لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً؛ قال تعالى :(وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)]الكهف: ٤٩[.

♦وعَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ نُوقِشَ الحِسَاب عُذِّبَ))، قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)]الانشقاق: ٨[، قَالَ: ((ذَلِكِ العَرْضُ))؛ البخاري برقم/ ٦٥٣٦.

الموت حق، وبعض الناس تستكثر زيارة القبور، والجلوس والتطويل ليس من سُنَّته صلى الله عليه وسلم، فقد كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: ((استغفروا لأخيكم، فإنه الآن يُسأل))، ولم يكن يدعو بهم دعاءً جماعيًّا كما يفعل البعض منَّا عند القبر؛ بل كل إنسان يدعو منفردًا له بما شاء، وأخذ العبرة بين أهل القبور من الأموات من السُّنَّة؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب، وتُدمِع العين، وتُذكِّر الآخرة، ولا تقولوا هجرًا))؛ صحيح الجامع/٤٥٨٤؛ ولكن البعض يضحك ويعود إلى سابق عهده بالدنيا، وكأنَّ شيئًا لم يكن، ولا يخفى على أولي الألباب والعقول أن من شيَّع ميّتًا لقبره محمولًا على الأعناق، وهو يسير على قدميه، يعلم يقينًا أنه كما حَمل سيُحمَل هو على الأعناق لقبره، وأنه لن يدخل معه أحدٌ من أهله وأحبابه، وأنه ينتظره فتنةُ الممات التي يستعيذ منها كلَّ صلاة، وهو لا يعقلها ويعمل استعدادًا لها، وسيندم لظلمه وضلاله يوم لا ينفع الندم بعد العدم؛ أنْ أضلَّه الله عن التثبيت عند السؤال، وهذا هو الخسران المبين؛ قال تعالى :(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)]إبراهيم: ٢٧[.

وختامًا:
أذكِّركم ونفسي أننا جميعًا بعد الموت يوم الحساب بين يدي الله تعالى، الظالم والمظلوم، الطائع والعاصي، فأين المفرُّ؟! وممَّن نفرُّ ولا ملجأ من الله إلا إليه سبحانه؟!

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لن يُنجِّي أحدًا منكم عملُه))، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ((ولا أنا، إلا أن يتغمَّدَني اللهُ برحمة، سدِّدوا وقاربوا، واغدُوا ورُوحوا، وشيء من الدُّلجة، والقصدَ القصدَ تبلغوا))؛ أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم ٦٤٦٣، باب: القصد والمداومة على العمل.

ورحمة الله لا ينالها المرءُ ألا بالتماس أسباب الهداية، وقد ينال الكافر والعاصي والفاسق من رحمة الله في الدنيا شيئًا كما ينالها المؤمن والطائع والتائب؛ لأنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة، فهو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة؛ ولكنه لن يختم لمن ضلَّ طريقه وخرج عن حدوده، وبارزه بالمعاصي بحُسْن الخاتمة، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، نسأل الله تعالى أن يرزُقَنا التوبةَ والإنابة برحمته وكرمه قبل فوات الأوان، وأن يُثبّتَنا على الإجابة عند السؤال، وأن يُنجِّينا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، إنَّه وليُّ ذلك، والقادر عليه، والحمد لله ربِّ العالمين.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/133848/#ixzz5puAdMGZu

١٤
كن رمضانيًّا ولا تكن دنيويًّا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي النبي الكريم، صلى الله عليه وسلم، وبعد:
رمضان علي الأبواب، وقد أصبحنا نرى الجميع يستعدون له كعادتهم كل سنة هجرية، ولكننا نرى الكثيرين قد استعدوا لرمضان على غير مراد الله ورسوله، وعمل السلف الصالح.

فأي أخطاء تلك التي تُرتكب في شهر القرآن شهر الرحمة والمغفرة، الذي يعتق الله تعالى فيه كل ليلة رقابنا من النار؟ ألا يتذكرون قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣]، فتقوى الله تعالى هي الغاية من الصيام، وهي خير زاد في الدنيا والآخرة، ولهذا أوصانا الله بها، فقال تعالى: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) [البقرة: ١٩٧]، وهل يتذكرون قول النبي صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)؛ متفق عليه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)؛ متفق عليه. وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)؛ البخاري.

شهر رمضان شهر القرآن والطاعة والذكر والقيام، صار في عصرنا هذا شهرًا للسهر والطعام والشراب عند كثير من المسلمين، وأنا لا أدري لماذا يكثر البعض من المعاصي في رمضان؟ ولماذا لا نسارع إلى الخير ونتنافس فيه؟ ألم يقل الله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران: ١٣٣].

فمن فعل فقد أفلح وفاز، وليستبشر خيرًا، فإن الله تعالى يقول في الحديث: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)، ومن خسر وخاب، فلا يلومنَّ إلا نفسه.

فنصيحتي لنفسي ولكل مسلم: كن رمضانيًّا ولا تكن دنيويًّا، وتذكر أننا أن أردنا الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة، فعلينا في رمضان وغير رمضان أن نروّض أنفسنا على عمل أربعة أشياء على الأقل.

١- المحافظة على الصلاة والقيام.
٢- الإكثار من الصدقة.
٣- المداومة على قراءة كتاب الله جل وعلا.
٤- حفظ الجوارح عن الحرام.

وإليكم الشرح والبيان والله المستعان.

المحافظة على الصلاة والقيام:

الصلاة عماد الدين لا يتركها إلا واحد من ثلاثة؛ كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم: "رفع القلم ..."، فإن لم تكن منهم، فما عذرك أمام الله؟

• وفي الحديث الذي رواه أحمد بأسناد جيد: عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: (مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ).

• وقال صلى الله عليه وسلم: عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَا تَرَكْتُ أَسْتَزِيدُهُ إِلَّا إِرْعَاءً عَلَيْهِ)؛ مسلم.

وأعلم أنه لا يستشعر عظمة الصلاة إلا من هداه الله إلى حبه، فليست الصلاة ركوعًا وسجودًا ودعاءً يقوله العبد فقط، وإنما الصلاة أعظم من ذلك، إنها دليل عبوديتك لله تعالى.

فأنت العبد الذليل وهو الرب الجليل، وأنت العبد الضعيف، وهو الرب القوي، وأنت العبد الفقير، وهو الرب الغني، وجميعًا نفتقر لرحمته وفضله، فتذكر ذلك دومًا؛ فقُمْ لله قيام المحب المشتاق لدعاء مولاه، وقد أفلح من صدق، وإياك ومجالسة أهل الغفلة ممن يسهرون أمام شاشة التلفاز، أو على المقاهي، فقد صدق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الظَّمَأُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ).

الإكثار من الصدقات:

حب المال أمر يجعل الإنسان يميل عن الحق، وكان النبي يجود أسرع من الريح المرسلة، وجميعنا يعلم المنافسة بين سيدي كهول أهل الجنة الفاروق والصديق، وعلى سبيل المثال حين طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة أن

يتصدقوا، قال عمر رضي الله عنه: ووافق ذلك عندي مالًا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أبقيت لأهلك؟" قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: "يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟" فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، عندئذ قال عمر: لا أسبقه إلى شيء أبدًا.

وتصدَّق في رمضان بما تقدر عليه، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وليس شرطًا أن يكون مالًا يجوز طعامًا، وبجوز كساءً للفقير، وغير ذلك، وتذكَّر قول الحبيب صلى الله عليه وسلم: "المسلم في ظل صدقته".

قراءة كتاب الله تعالى:

شهر رمضان شهر القرآن، بل أنزله الله تعالى في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر؛ كما قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) [القدر: ١].

وكان جبريل يدارس النبي القرآن في رمضان مرتين، والرعيل الأول من الصحابة كان القرآن رفيقهم لا يفارقون تلاوته أبدًا، لا في رمضان ولا في غيره، ولكنهم في رمضان كانوا أشد قراءةً وقيامًا لِما فيه من فضل وخير، وكان عثمان يختم القرآن كل يوم مرة، قال ابن رجب: إنما ورد النهي في أقل من ثلاث لمن يداوم على ذلك، أما في الأيام والأماكن الفاضلة؛ كشهر رمضان ومكة، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا لفضيلة الزمان والمكان.

وبعض السلف كان يختم كل ثلاثة أيام، وبعضهم في كل عشر، واعلم أن من أراد الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما معًا فعليه بالقرآن، والقرآن والصيام يشفعان للعبد لحديث: (الصيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصيَامُ: أَيْ رَب مَنَعْتُهُ الطعَامَ وَالشهَوَاتِ بالنهَار فَشَفعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النوْمَ بالليْلِ فَشَفعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفعَانِ)؛ صححه الألباني في "صحيح الجامع" (٧٣٢٩).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فإما أن يكون لك، وذلك فيما إذا توصلت به إلى الله، وقمت بواجب هذا القرآن العظيم من التصديق بالأخبار، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وتعظيم هذا القرآن الكريم واحترامه، ففي هذه الحال يكون حجة لك، أما إن كان الأمر بالعكس أهنت القرآن، وهجرته لفظًا ومعنًى وعملًا، ولم تقُم بواجبه، فإنه يكن عليك شاهدًا يوم القيامة"؛ انتهى من "شرح رياض الصالحين" (ص٣٠).

حفظ الجوارح عن الحرام:

ينبغي على العبد أن يراقب الله تعالى، ويحفظ جوارحه، ولا يلتمس الأعذار التي يظن أنها تُنجيه من عذاب الله، فليس كل عذر يقبله الله تعالى، ومَن حفِظ جوارحه حفِظه الله، ومن أساء فلا يلومنَّ إلا نفسه؛ قال تعالى: (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ

بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) [القيامة: ١٤، ١٥]، وعلى المسلم أن يترقب الموت في أي لحظة.

وختامًا أوصيك وأوصي نفسي ونحن على أبواب رمضان - أن نستعد ونشمِّر عن ساق العزم، فلا يدري أحدٌ منَّا كم بقِي من عمره في الدنيا الفانية، وسيكون لنا حديث ذو شجون ووقفة تأمُّل عن الموت في أقرب وقت إن شاء الله لعل وعسى تكون سببًا في توبة مسلم وعودته للطريق المستقيم، ونسأل الله لي ولكم حسن الخاتمة في الدارين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/133964/#ixzz5puAqM2SP

١٥
خمس همسات رمضانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فهذه خمس همسات ونصائح رمضانية لكل مسلم ومسلمة، يبتغي رضا الله في رمضان، نسأل الله أن يَجعلنا من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنَه.

(١) الرياء:

أحبتي في الله، في طفولتنا كنا نقلِّد الكبار في صيام رمضان، وبعضنا كان إذا أصابه الجوع، أكل في مكان لا يراه أحدٌ من أهله، ثم يستمر يدَّعي أنه صائم؛ ليُثبت لهم أنه كبير مثلهم، قادرٌ على الصيام، ولم يكن يدري شيئًا عن الرياء والإخلاص في العبادة، ولكن بعد أن كبرنا وعرَفنا الحلال من الحرام والحق من الباطل، وهدانا الله - أدركنا أن جميع العبادات قد يقع فيها رياءٌ من بعض البالغين، ولكن مع العلم والقصد والنية غير الخالصة، ونرى ذلك في كثير من العبادات؛ كذكر الله تعالى، والصدقة والصلاة، وغير ذلك لكن الرياء لا يستمر في عبادة لو انفرد الواحد منا بنفسه، فهو لا يشق على نفسه؛ لأنه لا يبتغي رضا ربه الذي يراه ويعلم سريرته وعلانيته، إلا الصوم فاستمراره في الصيام لغروب الشمس رغم الخلوة بعيدًا عن العيون، دليل على أنها عبادة تستحق أن يقول عنها ربُّ العزة؛ كما في الحديث القدسي: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"؛ جزء من حديث أخرجه البخاري/١٩٠٤.
نسأل الله القبول والإخلاص في الصيام وغيره؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(٢) الخوف من الله بين القول والفعل:
أحبَّتي في الله، الكثير منا يقول: إنه يخاف من الله، ولكنه يغتاب وينم ويسرق ويرتشي، ويتكاسل عن الصلاة، ويجاهر بالمعاصي... إلخ، ويقول: ربُّنا غفور رحيم! وبعضهم يطوف حول القبور ويقول: مَن قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة! وهلمَّ جرًّا.

نعم لا ينبغي للمسلم أن ييئس من رحمة الله، ولا يقنط قطُّ من مغفرته، ولكن ليست الأماني بالتمني، والجنة حفَّت بالمكاره والنار حفَّت بالشهوات، ولن يُرضي العبدُ ربَّه إلا بطاعته والخوف من عقابه، وطاعة رسوله صلي الله عليه وسلم.

وليكن رمضان البداية الحقيقية وصفحة جديدة بين صفحات سابقة امتلأت بالمعاصي، ولنسارع بالأفعال لا بالأقوال بلا كلل أو ملل؛ لنحقق بصدق وإخلاص حقيقة عبوديتنا لله تعالى في طاعته بالصلاة والقيام، وقراءة القرآن، والصدقات، والتسبيح والتهليل والتكبير وصلة الرحم وزيارة الأحبة، والرحمة والتسامح والعفو عمن ظلَمنا والصدقة، وغير ذلك من سبل الإحسان والبر والتعاون، لعل الله تعالى يرضى عنا، ويتقبل منا، وهو القائل عز وجل: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

وليجدِّد كل واحد منا حياته في رمضان، فكل إنسان يحتاج إلى فترة راحة؛ ليجدد نشاطه ويزيد همَّته وقدراته على أداء العمل المطلوب منه، ومثال ذلك الطالب في مدرسته، فهو يجتهد في دراسته بالسهر والتحصيل، لا يستريح له حال، فإذا ما انتهى العام الدراسي، وكللَ مجهوده بالنجاح، فإنه يعمل على راحة نفسه فترة الإجازة؛ ليجدد نشاطه استعدادًا لعام دراسي جديد، وهكذا الطبيب في عيادته والعامل في مصنعه، والتاجر في متجره والفلاح في حقله وهَلُمَّ جرًّا.

والمسلم في علاقته بربه في حاجة كذلك إلى تجديد النشاط وزيادة الهمة، ويلتمس السبل التي تعينه على ذلك، ورمضان ولياليه وروحانياته التي نعيشها ونحس بها، ونراها رؤية عين، هي أفضل السبل لعلوّ الهمة، فجدِّد حياتك، ماذا تنتظر؟

(٣) هل أنت صادقًا حقًّا؟
أحبتي في الله، يغضب البعض أن قيل له: أنت كاذب، ويعتبرها إهانة شخصية لا تغتفر، وربما يغضب؛ لأن كرامته قد أهينتْ، وربما يخاصم ويقاطع مَن أهانه، وأنا معه وأحسبه صادقًا في دعواه والله حسيبُه.
ولكن هل هو صادق حقًّا؟ فكما تعلمون الكذب آفة عمَّت بها البلوى ومصيبة عظمى أوقعنا فيها الشيطان، وحب النفس واتباع الهوى، ونقول لكل مَن يدَّعي الصدق: ماذا تنتظر؟ أثبت دعواك والبيّنة على مَن ادَّعى، وها هي رياح رمضان ونسائمه العطرة نعيشها ونراها رؤية عين، فكن من الصادقين مع الله، ثم مع الناس، ثم مع نفسك

التي بين جنبيك، وكفى بقول الله تعالى حجةً عليك وعلينا: (لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) [الأحزاب: ٨]، فإن صدَقت مع الله كنتَ من الصادقين حقًّا، وإلا صدقك من أهانك!

(٤) كن مع قافلة الصائمين والمستغفرين:
أحبتي في الله، من أراد منكم في رمضان أن يكون مع قافلة الصالحين من الصائمين والذاكرين والمستغفرين بالأسحار، فلا يستقيم هذا وهو مدمن على مشاهدة المسلسلات والأفلام والبرامج التي تبيح المحرمات، ولا يستقيم هذا وهو يصلي في بيته تاركًا الجُمَعَ والجماعات، أو جالسًا على المقاهي يلعب ويلهو، فهذه منه سلبية وليست إيجابية؛ فليكن كل واحد منا إيجابيًّا، فأيام رمضان تمضي ولن تعود، والقافلة تسير إلى الإمام لبلوغ المراد، فكفاك غفلةً، وتذكَّر مقالة إبراهيم بن أدهم رحمه الله لرجل يوصيه: اعلم إنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات، أولاها: أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، والثانية: أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل، والثالثة: أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة: أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة: أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، والسادسة: أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت.
وهكذا لا يكون المسلم إيجابيًّا إلا إذا غيَّر من نفسه وعاداته، وبالتوكل على الله تعالى وقوة إرادته وعزيمته، يبلغ مراده وهدفه، وأفلح إن فاز.

(٥) الإحسان كالمسك:
أحبتي في الله، الإحسان كالمسك ينفع حامله وبائعه ومشتريه؛ يقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: ٩٠].
قال الحسن البصري عن هذه الآية: إن الله جمع لكم الخير كلَّه والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئًا من طاعة الله عز وجل إلا جمَعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئًا إلا جمَعه.
أحبتي في الله، ما أروعها من وصيةَ هلُمُّوا في رمضان نعمل بها ونداوم على عبادته وطاعته عز وجل، ونكثر من ذكره وشكره، ونُحسن إلى عبيده من أعماق قلوبنا، ولن نجد إلا المزيد من الخير، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان! واعلَموا أن من أعظم ما يملِكه الإنسان حبُّ مَن حوله - زوجته وأولاده، وأهله وجيرانه، وإخوته في الله - وقد يرى الواحد منا بعض العباد يحتقرونه لعدواته وتكبُّره، والبعض يكرهونه لماله ومكانته، وما أشبه ذلك، ولكن كلما زاد المسلمُ من عدله وإحسانه، سيرى العجب، والله المستعان وعليه التكلان.
رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/134196/#ixzz5puAwAlFu

١٦
خواطر وكلمات داعية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وبعد: خلال رحلتي في الدعوة إلى دين الله تعالى لأكثر من ثلاثين عامًا، خطر لي الكثير من الخواطر الإيمانية والكلمات الدعوية، سجلت بعضها ونسيت الكثير، وقد كانت تأتي كومضات، ولله الحمد والمنة، وهذه بعضها ننشرها لعلنا نفيد ونستفيد، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

أولًا: خواطر إيمانية

أنا مسلم وافتخر:

أنا مسلم وأفتخر، وليفتخر كل واحد منا بإسلامه وعظمة دينه وتعاليمه السامية من "القرآن والسنة" التي جعلت ديننا على مرِّ التاريخ الإسلامي منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها الشوكة التي تعيق كل كافر من الدعوة للإلحاد والكفر؛ لأن الإسلام يجعل العبادة والسيادة لله تعالى.

وأفتخر أن الإسلام الدين الوحيد الذي جاء بتشريع من الله تعالى خالق السماء والأرض، وخالق البشر، ورازُقهم، وهو الدين الذي ارتضاه للبشرية، فقال عز وجل :(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)]آل عمران: ١٩.[

والإنسان لن يستقيم أمرُه دون تشريع رباني يأمره بكذا وكذا ترهيبًا وترغيبًا، والتشريع جعل الفقير كالغني في الحقوق والواجبات والثواب والعقاب، فأنت تصلي وأخوك يُصلي، ربما كان أغنى منك مالًا أو أكبر منك سنًّا، أو أكثر منك علمًا، فهل تراه يصلي حسب مقامه، أم يصلي كصلاتك؟

وقسْ على ذلك كل أمر وطاعة، الكل يتساوى أمام الله، ولا فارق بين عربي مسلم وأعجمي مسلم إلا بالتقوى والعمل الصالح، فاصدَع بها في الآفاق: أنا مسلم وأفتخر.

بر الوالدين ورضا الله:

الكثير من الخلق يبحث عما يرضي الله به عنه من أنواع الطاعات، ويلتمس مواسم الخيرات والأيام الفاضلة كرمضان وغيره؛ لينال رضا ربه، وأقول لهؤلاء: تدبَّروا يا قوم هذا الحديث عن جَاهِمَةَ رضي الله عنه جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: (فَالْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا)؛ رواه النسائي (٣١٠٤)، وحسنه الألباني.

واعلموا أن مَن له أبوان على قيد الحياة كلاهما أو أحدهما، ثم هو يبحث عن طاعة عظيمة يرضي بها ربَّه عز وجل عنه، فهو لم يعرف قدر هذه النعمة التي بين يديه.

التفاخر في دار الغرور:

إن التفاخر بالغنى أو الجاه أو الحسب والنسب في دار الغرور، سراب للغافلين، فبعد الموت يتساوى الجميع، فمن التراب خلقنا الله، وإلى التراب نعود، ومن لا يصدق فليتدبر قوله تعالى :(مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى)]طه: ٥٥[.

وقد أفلح من جعل نُصب عينيه - ليكبح نفسه ويروِّض شهواتها - قولَ الحق تبارك وتعالى :(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)]آل عمران: ١٨٥[، وحديث الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم: "أكثروا ذِكرَ هاذمِ اللَّذَّات؛ يعني الموتَ"؛ رواه الترمذي، وحسنه الألباني برقم/ ٢٣٠٧.

ولله در القائل:

تزوَّد من معاشك للمعاد
وقمْ لله واعمَل خيرَ زاد
ولا تجمَع من الدنيا كثيرًا
فإن المال يُجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيقَ قومٍ
لهم زاد وأنت بغيرِ زاد

♦ ♦ ♦

مشيناها خطى كُتبتْ علينا
ومَن كُتبت عليه خطى مشاها
وأرزاق لنا متفرِّقات
فمن لم تأته منها أتاها
ومن كُتبت منيَّته بأرض
فليس يموت في أرض سواها

البلاء يصقل الشخصية:
قال الله تعالى :(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)]البقرة: ١٥٥.[

وقال تعالى :(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)]الأنبياء: ٣٥.[

وأخبرنا الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم بحقيقة البلاء والصبر عليه، فقال في الحديث الصحيح: (إن عِظم الجزاء مع عِظم البلاء، وإن الله عز وجل إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)؛ رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

وكم مِن مبتلى في جسده أو ماله أو أهله، راح يشكو ذلك جهلًا منه بعظمة البلاء والصبر عليه!
إن الابتلاء يصقل الشخصية، ويظهر معدنها الأصيل، ويروِّض النفس على التواضع، ويزيد العبد قربًا من خالقه، ولولا الابتلاء لَتكبَّر العباد بعضهم على بعض، وتقاتلوا على دار الفناء، وأفلح مَن أنار الله بصيرته وصبَر على بليَّته رضًا بقضاء ربِّه، وليتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِن أَمْرَهُ كُلهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)؛ رواه مسلم (٢٩٩٩).

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم:
إن المحبة في الدين لا تعادلها محبة دنيوية أبدًا؛ لأنه محبة في الله ولله، ومن أحب بصدق وجد حلاوة الإيمان في قلبه؛ فعن أنس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، قال: ((ثلاث مَن كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون اللَّه ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه اللَّه منه كما يكره أنْ يُقْذَفَ في النَّار))؛ متفق عَلَيْهِ.

وأعظم المحبة للبشر هي محبة نبينا صلى الله عليه وسلم، فإن صدق المحب في محبته إياه ومحبته حقٌّ، فقد أحبه الله القائل : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)]آل عمران: ٣١[.
تحتاج محبته إلى تضحية وإنكار للذات، والسمع والطاعة، وحسن الاتباع، وترك الابتداع، فمن أبى فقد هان عليه دينُه وكذب في محبة نبيِّه، وأحب نفسه وهواه، وهذا هو الباطل وليس بعد الحق إلا الضلال، وإن قال غير ذلك.

الزواج ميثاق غليظ:

أتعجب من الكثير من المتزوجين حديثًا يظن البعض أن الزواج تجربة قابلة للتعديل والتبديل؛ كالتجارب في المعامل، وليس عِشرة عمرٍ وميثاقًا غليظًا؛ كما قال تعالى :(وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا *وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)]النساء: ٢٠، ٢١[.

فتفتر العاطفة بعد أول مولود وعند أبسط مشكلة تعصف بالزواج والعش السعيد، نرى فعل ورد فعل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فأين هؤلاء من وصية نبيهم صلى الله عليه وسلم، وفيها الدواء لكل مشاكل الزواج؟! ناهيك عن عظيم الجزاء والثواب بالصبر، فقال: "لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ."

عظمة الشريعة الربانية:

مهما وضعت قريحة البشر من قوانين من أجل الإنسان، فلن تسموَ وتترقى به كشريعة الإسلام التي شرعها ربُّ العباد، وجعلها الشريعة الخاتمة إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، ولهذا قال تعالى :(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)]آل عمران: ٨٥[.

ومن يسع للاستقامة والصلاح في غير شريعة الله - الكتاب والسنة - فلن يفلح أبدًا؛ لقول الحبيب المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى في خطبة الوداع يوم عرفة: "تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ»، قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ"؛ مسلم.

وقد أفلح مَن عمِل وطبَّق الشريعة، وقال: ربي الله وديني الإسلام، وهذا من فضل الله على من يشاء من عباده.

كل ابن آدم خطاء:

كل البشر يقعون في الذنوب والخطايا والعصمة للأنبياء، ولا نبي بعد خاتم الأنبياء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وليس فينا مسلم أو مسلمة إلا وله من الذنوب ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولو سمعت أن رجلًا أو امرأة يقول أو يدَّعي أنه لم يرتكب ذنبًا، فاعلم أنه مخطئ؛ لأن النبي يقول: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»؛ صحيح الجامع، (١٥).

ولنتذكر قوله تعالى قوله تعالى :(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)]الأحزاب: ٣٥.[

فكن أخي المسلم، أختي المسلمة من هؤلاء الصفوة؛ ليغفر الله لك، ولا تكن ممن آمن بلسانه وخالَف ذلك بجوارحه.

كيف أصبحت؟

سئل ابن تيمية رحمه الله: كيف أصبحتَ؟ قال: بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل، ذنوب قد سترها الله فلم يستطع أن يعايرني بها أحدٌ مِن خَلْقه، ومودة ألقاها في قلوب العباد لا يبلغها عملي، وسئل الشافعي رحمه الله في مرض وفاته: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ من الدنيا راحلًا، وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، ولكأس المنية شاربًا، وعلى الله واردًا، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها؟

أحبتي في الله، أليس غريبًا أننا أصبحنا نعيش أيام رمضان ولياليه العطرة الحافلة بالذكر والدعاء والاستغفار، والصلاة والصدقة والقيام، وزيارة الأحبة وصلة الرحم، وما أشبه ذلك، ونحن في غفلة والأيام تمر ولا تعود، وليسأل كل واحد منا كيف أصبح في رمضان؟ وهو أدرى بحقيقة نفسه التي بين جنبيه والله حسيبُه!

إحصائية وكشف حساب:

أحبتي في الله، لنقُم في رمضان بعمل إحصائية للغيبة أو النميمة، أو الإسراف أو رؤية ما حرَّمه الله ورسوله، مما نشاهده على شاشة التلفاز، أو غير ذلك، ثم نسأل أنفسنا :هل يكفي رصيدنا من الحسنات من الصلاة والقيام والصوم والذكر، وقراءة القرآن والصدقة، وغير ذلك في رمضان، لسدِّ الخلل في الميزان؟

فإن كان الجواب على غير المأمول، فليس من الحكمة أن يغفل كل واحد منا عن قوله تعالى :(إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ *وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)]هود: ١١٤، ١١٥[، وليس من الحكمة ألا نجتهد بكل السبل الشرعية لترجيح كِفَّة حسناتنا، ولا نعد العدة ليوم الحساب الذي قال عنه ربُّ العزة :(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ *إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)]الشعراء: ٨٨، ٨٩[.
فهل تُدرك نفسك قبل فوات الأوان؟ أنت أدرى، والله المستعان.

هل تعرف نفسك؟

أحبتي في الله، ليسأل كلُّ واحد منا نفسه: هل أنا ممن قال الله تعالى فيهم :(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)]الحديد: ١٢[.
أو من قال نبينا صلى الله عليه وسلم فيهم: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا"؛ رواه مسلم.
فإن كان الجواب: لا ندري؟ وهذا حق، فلا يعلم الغيب إلا الله، ولكن هناك علامة أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن أراد أن يعلم ما له عند الله؛ فلينظر ما لله عنده"؛ الصحيحة، (٢٣١٠).
فانظُر رحمك الله إلى حالك مع الله في سريرتك وعلانيتك، وما أمرك به في القرآن والسنة، لكي تعرِفْ نفسك ومقامَك.

ثانيًا: كلمات دعوية:

إن كرم الضيافة ليس في إتحاف الضيف بما لذَّ وطاب من الطعام والشراب، مع ضيق الصدر وعدم إخلاص النية، بل كرم الضيافة في عدم التكلف مع انشراح الصدر وابتغاء ثواب الله تعالى.

الأمومة لم يكن يومًا لها ثمن بل هي منبع التضحية والوفاء والحنان، فمن عق أمَّه لمال أو كبر أو شيءٍ من متاع الدنيا الزائل، فهو عديم الوفاء، وإن قال غير ذلك.

♦♦♦♦

لا يجتمع الخوف والرغبة في قلب المؤمن إلا مع طاعة الله عز وجل، فالمؤمن الحق يرى في قربه الخوف والخشية من عظمته، وفي نفس الوقت الرغبة والطمع في جنته ورحمته.

♦♦♦♦

الفيس بوك سلاح ذو حدين؛ قد يستخدم في نشر الدعوة أو في تضليل العباد، ومَن أراد أن يعرف مقامه، فلينظر لصفحته، فكل إناء بما فيه ينضح.

♦♦♦♦

ليس الحق بكثرة أتباعه من الخلق دون بيِّنة وبرهان، بل الحق ما دل عليه الدليل من القرآن والسنة أنه حق، وليس بعده إلا الضلال، ولو اتَّبعه قلةٌ من الخلق.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/134495/#ixzz5puBEJwuw

زكاة الفطر بين النص الشرعي وأقوال الرجال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:
فالمسألة التي يسأل عنها كل عام الجميع عن زكاة الفطر، تدور على الاختلاف الحاصل حول زكاة الفطر: هل يجوز إخراجها مالًا أم لا؟ أخرج البخاري عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْر، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ»؛ بَابُ فَرْضِ صَدَقَةِ الفِطْرِ، رقم ١٥٠٣.
وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: "كنا نخرج زكاة الفطر من ثلاثة أصناف: الأقط، والتمر، والشعير"، رقم (٩٨٥).
• وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة الصيام من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، وانظر صحيح المشكاة للألباني، رقم ٤.

فأي خلاف يرد إلى الأصل والدليل الصحيح الصريح، ولا اجتهاد مع نص، ولولا الدليل لقال من شاء ما شاء، وضاعت السنن، فهل هناك خلاف بأن الأصل إخراجها طعامًا.
وهل الخلاف في صحة الأحاديث في ذلك عن النبي؟ قطعًا لا، إذًا لماذا الخلاف أصلًا؟ لوجود بعض الآثار، ولأن الفتوى تختلف باختلاف الأحوال للضرورة والمصلحة الشرعية لمجتمع ما في كل عصر ومصر، مع الالتزام بروح النص الشرعي والرجوع للأصل عند الاختلاف.
وعلى سبيل المثال فقد رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم من أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لأهل اليمن حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم: "ائتوني بعرض ثياب خميس، أو لبيس في الصدقة مكان الشعير، والذرة أهون عليكم، وخير لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة."

فهذه مصلحة راجحة، وليس هناك ما يمنع عند المصلحة والضرورة من إخراج النقود مكان الطعام في زكاة الفطر، إذا كان يترتب على إخراجها طعامًا مشقةٌ، ولا إنكار أن إخراجها مالًا عند الضرورة والمصلحة والمشقة تجوز، وهي تقدَّر بقدرها وفي الحديث: "مَن

أدَّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومَن أدَّاها بعد الصلاة، فهي صدقة من الصدقات"؛ حسنه الألباني في الإرواء رقم، ٨٤٣، فمثل ذلك الفعل لا يشك عاقل بضرورته، وأبو حنيفة رحمه الله وغيره من السلف أجازها على سبيل المصلحة ولم يقل أنها خير من الإطعام مع وجود الحاجة له، وسنة نبينا لا مجال فيها للهوى بلا مبرر شرعي، فلا تشريع إلا للرسول كما لا يخفى، فمعلوم أن ترك النصوص الصريحة الواضحة إلى الجواز والاستحسان لبعض الأثار والأقوال للعلماء المعتبرين، قد يصيب من قال به منهم، وقد يخطأ، ومن أصاب من أهل العلم المعتبرين له أجران، ومن أخطأ له أجر الاجتهاد، ونتفهم أن ذلك يجوز للضرورة والمصلحة في بعض الأحوال، واجتهاد العلماء الربانيين مُعتبر شرعًا، والضرورة تقدَّر بقدرها، ولكن ما يحز في القلب ويدميه أن يصبح الأصل وأوسعه وأيسره انتشارًا بين العباد عليه هو النقود، وهو اجتهاد قد يصيب، وصار الاستثناء هو الإطعام، وهو الثابت في السنة بلا اختلاف بين أهل العلم قاطبةً في أنه الأفضل والاحسن، والسنة الثابتة، وأن مَن أخرَجها طعامًا قد برئت ذمتُه دون خلاف.

ونقول :إن الأدلة فوق كل اعتبار، والأصل إخراج زكاة الفطر طعامًا، وأبو حنيفة وعلماؤنا الأفذاذ مالك والشافعي وأحمد بن حنبل - عليهم سحائب الرحمة - شهد لهم الداني والقاصي بعلوّهم وعلمهم في كل عصر ومصر، ونستطيع أن نقول أن العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

منهم من قال: لا يجوز إخراجها نقدًا، وهذا مذهب المالكية، والشافعية، والحنابلة.

ومنهم من قال: يجوز إخراجها نقدًا، وهذا مذهب الحنفية.

ومنهم من قال: يجوز إخراجها نقدًا إذا اقتضتْ ذلك حاجة أو مصلحة، وهذا قول في مذهب الإمام أحمد، اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية.

ولا شك عندنا أن أدلة إخراجها طعامًا هو الأرجح والأسلم والسنة المؤيدة بالأدلة الصحيحة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولقد قرأت كلامًا طيبًا لبعض الأفاضل، جاء فيه: إخراجها نقودًا مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، فإنهم أخرجوها طعامًا برغم توافر المال حينذاك، وبرغم حاجتهم إليه، وقد كان مجتمعهم أشد فقرًا وحاجة من مجتمعنا اليوم، فلو جاز إخراج المال لبيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لهم ولمن بعدهم.

وأضاف موضحًا الأسباب:
•لأن الله عز وجل شرع أنواعًا للزكاة، ونص في كل نوع على إخراج أشياء من جنسه، فنص في الزروع على زرع، وفي المال منه، وفي الأنعام منها، وفي الكفارات على كسوة وإطعام وعتق رقبة، وفي الفطر على طعام، ولم يذكر معه غيره، فدل هذا التغاير على أن هذه النصوص مقصودة لله عز وجل، كلٌّ في موضعه.

•لأن إخراج زكاة الفطر طعامًا ينضبط بالصاع، أما إخراجها نقودًا فلا ينضبط؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم عيَّنها من أجناس مختلفة وأقيامها - أثمانها - غالبًا مختلفة، فدل ذلك على أن القيمة ليست معتبرة، وأن المعتبر هو المقدار؛ أي: الصاع، وإلا فعلى قيمة (ثمن) أي شيء تحدد الزكاة؟ هل تحدد على قيمة الزبيب مثلًا أو القمح، وواضح فرق القيمة بينهما مع أن الكيل واحد، وهذا ما يوقع القائلين بالقيمة في تخبُّط؛ لأن إخراجها طعامًا يناسب كل زمان ومكان وحال، فما قيمة النقود في حال الحروب أو التضخم الاقتصادي أو الاحتكار، وارتفاع الأسعار والغلاء كما هو حاصل الآن؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ انتهى.
علينا اتباع النبي والحذر من مخالفة أمره، فهو أمر من الله تعالى، والآيات في ذلك كثيرة؛ منها :(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)]الأحزاب: ٣٦[؛ قال السعدي في تفسيرها ما مختصره: فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة (إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا) من الأمور وحتَّما به وألزَما به، (أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)؛ أي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه وبين أمر الله ورسوله؛ ا.هـ.

والخلاصة أن الحكم ثابت وهو إخراج الزكاة صاعًا من طعام حسب أحوال كل بلد، وقد ذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يجوز إخراج القيمة في زكاة الفطر؛ قال الإمام أحمد: "أخاف ألا يُجزئه، خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وقال الإمام ابن حزم رحمه الله: "لا تجزئ قيمة أصلًا؛ لأن ذلك غير ما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم."

وأختم هذه السؤال بكلام وتعليق منقول من كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في هذا الموضوع إكمالًا للفائدة قال: "ولا عبرة

بقول من قال من أهل العلم: إن زكاة الفطر تجزئ من الدراهم؛ لأنه ما دام بين أيدينا نص عن النبي عليه الصلاة والسلام، فإنه لا قول لأحد بعده، ولا استحسان للعقول في إبطال الشرع، والله عز وجل لا يسألنا عن قول فلان أو فلان يوم القيامة، وإنما يسألنا عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لقوله تعالى :(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ)]القصص: ٦٥[، فتصوَّر نفسك واقفًا بين يدي الله يوم القيامة وقد فرض عليك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أن تؤدي زكاة الفطر من الطعام، فهل يمكنك إذا سُئلت يوم القيامة: ماذا أجبتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في فرض هذه الصدقة؟ فهل يمكنك أن تدافع عن نفسك، وتقول: والله هذا مذهب فلان وهذا قول فلان؟ الجواب: لا ولو أنك قلت ذلك لم ينفعك، فالصواب بلا شك أن زكاة الفطر لا تجزئ إلا من الطعام، وأن أي طعام يكون قوتًا للبلد، فإنه مجزئ)؛ ا هـ.

ونكرر القول :نحن لا ننكر أن إخراجها مالًا قال به بعض أهل العلم والسلف، وليس أبو حنيفة فقط، فقد قال به من التابعين سفيان الثوري، والحسن البصري، والخليفة عمر بن عبدالعزيز، ورجَّحه ابن تيمية عند المصلحة - عليهم سحائب الرحمة - ولكن الجميع بلا خلاف على سنية الإطعام في زكاة الفطر، وأنه الأصل ومحل الخلاف بجوازها مالًا هو اجتهاد للمصلحة والضرورة، وليس كل الناس كذلك ليعم الجميع بلا استثناء، فالكل يريد إخراجها مالًا ليستريح من عناء إخراجها حبوبًا في زعمه، فمن المعلوم أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، وهذا حق فقد يكون الطعام هو المصلحة في بلد تعاني من المجاعة، وقد يكون في المال في بلد يتوفر فيه الطعام، ويندر فيه المال لشراء ما ينفع الفقير، أما في مصر مثلا فالأفضل طعامًا، فغلاء الأسعار يقابله انخفاض قيمة المال، وخُذ على سبيل المثال أن لجنة الإفتاء جعلت نصيب الفرد ثلاثة عشر جنيهًا حدًّا أدنى لزكاة الفطر، ولا أحد يبحث عن الأعلى بل الأدنى، ولو كان عشر جنيهات إلا من رحم ربي، فماذا تنفع الثلاثة عشر أو حتى الخمسين جنيهًا، فالطعام أصبح أهم من المال في مجتمعنا، وليس العكس فتأمَّل!

فالرجوع للسنة هو الأصل، وصحيح أن الفتوى تتغير باختلاف الأحوال، ولكن هناك خلط في هذه المسألة يقع فيها كثير من الناس نبدأ بتوضيحه:

جاء في درر الحكام شرح مجلة الأحكام: "إن الأحكام التي تتغير بتغير الأزمان هي الأحكام المستندة على العرف والعادة؛ لأنه بتغير

الأزمان تتغير احتياجات الناس، وبناءً على هذا التغير يتبدل أيضًا العرف والعادة، وبتغير العرف والعادة تتغير الأحكام"؛ درر الحكام ١/ ٤٧، وانظر: القواعد الفقهية على المذهب الحنفي والشافعي؛ للدكتور محمد الزحيلي ص: ٣١٩.

وقد نقل الزركشي عن العز بن عبدالسلام أنه قال: "يحدث للناس في كل زمانٍ من الأحكام ما يناسبهم؛ قال: وقد يتأيَّد هذا بما في البخاري عن عائشة أنها قالت: لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثته النساء بعده لمنعهنَّ من المساجد؛ أحدثته النساء: يعني من الزينة والطيب وحسن الثياب؛ شرح صحيح مسلم ١/ ٣٢٩.

وقال ابن القيم بعد أن ذكر أن الفتوى تختلف باختلاف الزمان والمكان والعوائد والأحوال، ما نصه: "هذا فصل عظيم النفع جدًّا، وقع بسبب الجهل به غلط عظيمٌ على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه - ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها"؛ إعلام الموقعين ٣/ ١٤.

ثم إن الإمام أبا حنيفة كما أجاز المال في زكاة الفطر، أجاز غير ذلك للحاجة والضرورة، وعلى سبيل المثال:

- ما ذكره السرخسي أن الإمام أبا حنيفة في أول عهد الفرس بالإسلام، وصعوبة نطقهم بالعربية، رخص لغير المبتدع منهم أن يقرأ في الصلاة بما لا يقبل التأويل من القرآن باللغة الفارسية، فلمَّا لانت ألسنتهم من ناحية، وانتشر الزيغ والابتداع من ناحية أخرى، رجع عن هذا القول؛ انظر: المبسوط ١/ ٩٨.

وكذلك قول الحنفية: إن خاف - أي الرجل - من الولد السوء في الحرة يسعه العزل بغير رضاها لفساد الزمان، فليعتبر مثله من الأعذار مسقطًا لإذنها؛ قال ابن عابدين معقِّبًا على هذا: بأنه تقييد من مشايخ المذهب لتغيُّر بعض الأحكام بتغيُّر الزمان؛ رد المحتار١٠/ ٢٤٢.

وبناءً على ما سبق يتبيَّن لك أن ضابط فَهْم هذه العبارة كما ذكر علماؤنا في أمرين:

أ -التغير في الفتوى لا في الحكم الشرعي الثابت بدليله.

ب -التغير سببه اختلاف الزمان والمكان والعادات من بلد لآخر.

والخلاصة أن الحكم ثابت وهو إخراج الزكاة صاعًا من طعام، والفتوى تتغير بخصوص الطعام حسب أحوال كل بلد، أما القول بأن ذلك يفتح باب الاجتهاد في الحديث كله، فغير صحيح، وقد ذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يجوز إخراج القيمة في زكاة الفطر؛ قال الإمام أحمد: "أخاف ألا يجزئه، خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وهذا مذهب مالك والشافعي، وقال الإمام ابن حزم رحمه الله: "لا تجزئ قيمة أصلًا؛ لأن ذلك غير ما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم". ونكرر أن إخراجها مالًا دون مبرر شرعي وضرورة أمرٌ مخالف للسنة الثابتة بعمل النبي وأصحابه من بعده.

هذه هي خلاصة المسألة، وهي أن الخلاف في زكاة الفطر معروف ومشهور بين أهل العلم، والصواب مع مَن يقول تُخرَج حبوبًا كما ثبَت بالنص والدليل، ولا يصح في حق النبي صلى الله عليه وسلم تأخير البيان عن وقت الحاجة، وأنها تخرج من غالب قوت البلد، فالعبرة في سد احتياجات الفقير من الطعام، والعبرة عند الخلاف بما دل عليه الدليل، ويدل على ذلك قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)]النساء: ٥٩[.
هذا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

رابط الموضوع : https://www.alukah.net/sharia/0/134638/#ixzz5puBShxXB

تم الجزء الثالث ويليه الرابع أن شاء الله